2020

سيرة ذاتية

صانع البهجة

من يوميات شاعر الشرق

محمد على النجار

يصدر عن:

دار شعلة الإبداع للطباعة والنشر والتوزيع

- **الكتاب: صانع البهجة من يوميات شاعر .**
- **المؤلف: محمد على النجار.**
- **التصنيف: سيرة ذاتية.**
- **الطبعة الأولى: 2020**
- **رقم الإيداع: 2020-19430**

- **المشرف العام: الشاعر والإعلامي.. أشرف عزمى.**
- **الإخراج الفني والمراجعة اللغوية: السعيد المصرى.**

- **ت :** 00201280534502/00201009262000
- **البريد الاليكترونيّ:** shoaletalebdaa@gmail.com

- **الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الدار، بل تعبر عن رأى المؤلف فى المقام الأول.**
- **حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة، للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا، أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف.**

إهـداء أول

للبهجة أوجه كثيره،

ولبهجتي..

وجــه واحــد..

اسمه «حميد الشاعري».

«محمد على النجار»

إهـداء ثانى

إلى أمي..
التى أمنت بموهبتي..
وأفنت عمرها من أجل ذلك ..
بتنسجى من باقي فرحك توب لــ همى
وتحقنينى بعطف ساري فى كل دمى
وتفتحي لى براح قصايدك فأبقى شاعر
ماسك الإحساس.. وباعزف لحن لأمى.

«محمد على النجار»

مجـــــذوب:

من عشاق «الست» و«العندليب»، لا يسمع غيرهما، قبل انتهاء الوجه الأول، يوقف ماكينة الخياطة بالطابق الأول علوى، لأسمعه جيدا بالطابق السفلى للمحل، حيث ماكينة السرفلة، التي تعلمت عليها سريعا.

- ما تنساش تقلب الشريط يا محمد.
- حاضر يا أسطى.

هكذا طوال اليوم.

على الطريق العمومي لقريتي «منية سمنود»، بنزينة يملؤها الصخب من أصحاب السيارات الوافدين عليها، برغم ذلك كنت أسترق السمع، لصوت جاء هادئا ودافئا، يصاحبه إيقاع جديد وسريع على أذني، أغنيه أبهجت صاحب البنزينة ورواده، رأيت ذلك على ملامحهم، تذاع تقريبا كل نصف ساعه، فى البرامج الإذاعية، تطير ألحانها كعصفور مجهد يبحث عن غصن يستريح عليه لبضع أوقات، لا يوجد غير أسماعي ليستقر بها، لحن جذبني ورائه كالمجذوب، ربما لخروجه عن السائد والمألوف، حتى كاد أن يجن الأسطة من تركى للعمل وبحثه عنى ليجدني، أتلكك بالكنس أمام المحل، فى ذروة العمل، إلا أنه لم يضربني مرة، لخوفه من غضب زوجته (عواطف) أختي الغير شقيقة.

حفظت اللحن والكلمات من كثرة تكرارها فى الراديو، برغم أننى لم أفهم معناها فى ذلك الوقت حتى صرح هو عنها فيما بعد فى إحدى البرامج التلفزيونية، أنها مفردات من التراث

الليبى تغنى فى الأفراح لديهم، كنت فى العاشرة من عمري، تحديدا سنة ١٩٨٩، فى أجازه نهاية العام، بعد عام دراسي ثقيل، قررت أن أدخر من البقشيش الذى أحصل عليه من الزبائن، وأبحث عن ذلك المطرب، أشترى ألبومه الغنائي، مع العلم أنى لا أمتلك جهاز كاسيت نظرا لضيق الحال، ولا أجرؤ على تشغيله فى المحل، حتى فى عدم وجود الأسطة شوقي.

فى نهاية الأسبوع، ذهبت أبحث عن محل لبيع شرائط الكاسيت، لم أجد غير امرأه تجلس أمام أقفاص فاكهة، تمسك منشة فى يدها، تحاول طرد الذباب المتكاثر على العطن منها، ترددت فى سؤالها، ربما أخطأ الواصفون لي، اصطنعت الذكاء، بادرتها بالسؤال.

- لو سمحتي.. ما تعرفيش حد بيبيع شرائط كاسيت.

لمعت فى ضوء الشمس سنة فضة عند ابتسامتها، ميزتها بها بعد ذلك.

قالت:

- عندي تسجيل بس يا حبيبي.

باستغراب شديد سألتها..

- عند حضرتك

- مستغرب ليه..!.. تعالى ورايا.

أخذتني لمكان خلف نصبتها، له ضلفتان خشبيتان واسعتان، عندما تخطيتهما، شعرت أنى فى عالم آخر، جدران تحمل مئات الشرائط والأغلفة، الجوانب كلها ممتلئة عن أخرها، إلا فتحه فى مقابل الباب الخشبي لا تتعدى المتران طولا والمتر عرضا،

تكسوها قطعة قماش، أدركت أن خلفها غرفة معيشتها، حيث دخلت لتفعل شيئا ثم خرجت سريعا، لمحت عند تورية القماش سريرا ووابور جاز بجانبه على الأرض، الشرائط رصت بدقة وعناية فائقة، كل مطرب على حده بإنتاجه من الألبومات الغنائية، أخذت تتابع المرأة اندهاشي وتفحصي حتى سألتها، فأنا لا يعنيني غير مطرب واحد أريد معرفته.

- فيه مطرب بيغنى أغنيه بتقول: «جلجلي.. جل جلا.. صهليلى.. صهلالا»
- اسمه حميد الشاعري.

قالتها بثقه.

فرحت لتلبية طلبي بهذه السرعة.

بادرتها بالحديث:

- وإيه المطلوب منى..
- جنيه حق الشريط.. وجنيه حق تسجيله.

أعطيتها ما طلبت، أعطتني موعدا على آخر النهار، ذهبت إليها متلهفا قبل الموعد بساعات، كانت لم تفرغ منه بعد، انتظرتها حتى انتهت، حدثتني أنها اضطرت لتسجيل شريط آخر لحميد على الوجه الآخر، نظرا لطول مدة المساحة المسجل عليها وهى ساعه، حملت الشريط مسرورا بعد ما أعطيتها جنيها آخر نظير الزيادة، كان مميزا بكلمة أمير المكتوبة عليه بالإنجليزية، وورقته المائلة للصفار، لكن سرعان ما ذهب سروري هذا، فأنا لا أمتلك كاسيت، انتابني الهم، سرت شغوفا أكثر بالسماع إلى لعبتي أو هوايتي الجديدة، فريبوت دون بطارية تحركه، لا فائدة

منه، تذكرت أن غدا الجمعة، نقضيها عند خالتي وأولادها بقرية مجاورة لنا تسمى «نوسا الغيط»، تذكرت الكاسيت ماركة ناشيونال، الذى أتى به محمد ابن خالتي الأكبر من العراق أثناء عمله بها، نقضى أنا ووالدتي اليوم كله هناك، اعتدنا على ذلك منذ وفاة والدى وأنا ابن الأربع سنوات.

استغرب أولاد خالتي من تركى للعب معهم، وانفرادي بالكاسيت داخل غرفتهم، وضعت الشريط وضغطت على زر التشغيل، ليحاكيني هذا المطرب عن شجني، يفجر بداخلي مارد الحزن القابع منذ وفاة والدى، يأخذني فى عزله كل جمعه، يفتح أفاقا لمخيلتي، ما هذا السحر العجيب الذى أثرنني به هذا الرجل، رغم أن المرأة أخطأت ولم تعطني الأغنية التي أردتها، لا يهم، المهم أنى حصلت على صيد أثمن، تسع عشرة أغنية، عرفت بعد ذلك أنها لألبومين هما «رحيل، وجنه» الصادرين سنة ١٩٨٤، و ١٩٨٨.

بدأت فى الاستماع إلى ألبومات أخرى لمطربين آخرين، أغلبهم لبنانيين، جلبها أولاد خالتي عن طريق الاستعارة من أصدقاء لهم يعملون بلبنان، لتبدأ رحلتي مع هذا العالم الذى ترك لمخيلتي العنان، إلا أن ذلك المطرب أكثر من داعبها، بصوته الذى يحمل دون مبالغة، كل الشجن.

بحثت عند الست حمديه، هذا كان اسمها، عن ألبومات أخرى لحميد، لم أجد، كلما حدثت صديقا لي عنه من سنى أو أكبر قليلا، لا يعرفه، لكنهم يعرفون جيدا أغنية "جلجلي" التي حققت نجاحا غير مسبوق، فى سوق الكاسيت وقتها.

سـينما عـدن:

١٩٩٠ فى الصف الأول الإعدادي نظمت المدرسة رحلة إلى مدينة القاهرة، تضمن برنامجها زيارة «الأهرامات ـ حديقة الحيوانات، مدينة الملاهي»، كانت أول رحلة لي ولصديقي وجارى أحمد حافظ، جهزت أمي الساندويتشات وأيقظتني باكرا لألحق بأتوبيس الرحلة، أعطتني مصروفا استثنائيا، ثلاثون جنيها دفعة واحدة، أصرفها كاملة فى رحلتي، مررت بصديقي أحمد، صعدت الأتوبيس أولا وسط تدافع زملائي لحجز أماكنهم بجوار النوافذ، حجزت له كرسيا بجوار إحداهم وأنا بجوار الممر، بدأ المشرف بإلقاء كلماته التحذيرية.

- كل واحد ياخد باله من نفسه.. ما تحاو لوش تبعدوا عن بعض.. ها تسمعوا الكلام وتبقوا حلوين.. ها تبقى رحله سعيدة ومفيدة.. واللي مش ها يسمع الكلام.. ها حبسه فى الأتوبيس.

قال هذه الكلمات والبعض منشغل بالنظر من النوافذ، والبعض الآخر منشغل بالإفطار من بينهم صديقي أحمد، أما أنا انشغلت بالسماعات الموضوعة فى السقف أعلى كل كرسي، وبالتليفزيون وجهاز الفيديو المثبتين فى كابينة السائق.

بعد لحظات من انطلاقنا، وضع السائق فى المسجل شريطا، أسمعه لأول مرة، أبهجت موسيقاه الطلاب، ظلوا يتراقصون عليه طوال الطريق، علمت أن السائق لا يملك غيره، كلما انتهى الوجه، يقلبه على الثاني، كلما انتهى الثاني، قلبه على الأول، وهكذا حتى وصلنا، أخذني الفضول قبل نزولي، سألت السائق.

- لو سمحت يا أسطه.. شريط مين ده:

أخرجه من المسجل، أعطاه لي مبتسما.

- واحد زميلي حطه لي فى الكاسيت، وقالي لسه نازل جديد.

كان الشريط شفافا، مكتوب عليه باللون الأزرق، اسم الشركة "سونار" بالإنجليزية، اسم المطرب «إيهاب توفيق»، عنوان الألبوم «رسمتك»، نطقت الأسماء أمامه، لم يزيح ابتسامته التي ابتسامها لي من البداية، قال لي.

- مع إني كنت قايله.. عايز شريط "لولاكى".

قولت له:

- وإيه لولاكى ده.

باندهاش حدثني

- حد ما يعرفش لولاكى.. دي مكسرة الدنيا.

استعجلني المشرف، بعدما أتمم على زملائي، أخبره صديقي أحمد أنى لازلت داخل الأتوبيس، زرنا الأهرامات، بعدها حديقة الحيوانات، أهدرت الثلاثين جنيها دون إبقاء شيء للملاهي، كلما اشتهيت شيئا اشتريته، عكس صديقي أحمد الذى ما زال محتفظا بمصروفه كاملا.

أخذ زملائي يلعبون ويمرحون بما تبقى معهم من مال فى مدينة الملاهي، طلبت من صديقي أن يقرضني حق ثمن لعبه واحدة، ركوب العربات الكهربائية، على أن أعطيه ما استلفته منه بعد الرجوع، انتهت اللعبة بعد ثلاث دقائق، لم أشعر باستمتاع حقيقي، حزنت على إهداري للمال بهذا الشكل، أخذت أراقب زملائي وهم يلعبون، حتى سمعت فى مكبرات الصوت لديهم

أغنية لولاكى من بين أغاني شعبيه لحسن الأسمر وعبد الباسط حمودة وأحمد عدويه، الأغنية كان لها تأثير كالسحر، علمت بعد اهتمامي ومتابعتي للصحف والمجلات التي كانت تقع تحت يدى بالصدفة، عندما أنتظر دوري عند «الحلاق»، أو بعد ترك مدرس الفصل لجريدته بعد الانتهاء من قراءتها، أن الأغنية أحدثت ثورة وانقلابا فنيا على كافة أشكال الأغنية منذ ظهورها سنة ١٩٨٨، سواء فى الكلمات أو الألحان أو التوزيع الموسيقى، برغم السخرية من بعض الصحفيين ورسوم الكاريكاتير المسيئة للأغنية وصناعها، تم بيع ستة آلاف نسخه وحققت مبيعات وصلت إلى ٨ مليون جنيه، حمل الألبوم ٨ أغاني كتب أربعا منهم الشاعر عادل عمر، وعلى حميدة صاحب الألبوم كتب ثلاثا، والشاعر عزت الجندي صاحب القنبلة المدوية «لولاكى»، لحنها الملحن سامى الحفناوي، ووزع الألبوم بأكمله ولحن به أربع أغنيات «حميد الشاعري».

في نفس العام أتذكر، فى أول أيام عيد الفطر، ذهبنا أنا ووالدتي إلى «نوسا الغيط» لزيارة خالتي، وجدت أولادها السعيد وصافى والمتولي يتحدثون عن فيلم العيد للنجم عادل إمام الذى نووا حضوره فى إحدى سينمات مدينة المنصورة، الوحيد منهم الذى كان يقربني فى السن هو «المتولي»، همست فى أذنه سائلا:

- أكيد ها نروح معاهم.

قال بحزن.

- قُلت لهم ومش راضيين عشان إحنا لسه صغيرين.

خطرت فى بالى فكره، حدثت بها المتولي الذى انفرجت أساريره عند سماعها، بعد حصولنا على العيدية تتبعناهم دون أن

يشعروا بنا، انتظرناهم حتى عبروا إلى الطريق الأخر فى انتظار الأتوبيس القادم من مدينة «أجا»، عندما صعد السعيد وصافى من الباب الأمامي، أسرعنا وركبنا من الباب الخلفي، جاء الأتوبيس ممتلئا، اليوم يوم عيد، والكل ذاهب للتنزه، اختبأنا خلف الراكبين حتى قرب الوصول، فاجأناهم بوجودنا، الآن لن يستطيعوا النزول أو الرجوع، لا سبيل لهم غير أخذنا والحفاظ علينا وسط التكدسات فى «المواصلات.. والطرقات والسينما»، ذهبنا إلى سينما «عدن»، لأول مرة أرى مشهدا كهذا، أعداد هائلة من الوافدين من القرى المجاورة يتدافعون أمام شباك التذاكر، صورة ضخمه لأفيش الفيلم تحمل ملامح الأبطال، واسم الفيلم بعرضها «جزيرة الشيطان»، لو تدافعنا مثلهم، بالكاد سيفقدوننا أنا والمتولي، أصبحنا عبئا عليهم، أخذونا إلى سينما أخرى «أوبرا» تبعد عن الأولى بعدة مترات فى إحدى الشوارع الجانبية، وجدنا تدافعا أكثر من الأولى، الأفيش هنا يحمل صورة لامرأة شبه عاريه لفيلم من الأفلام التركية التي كانت رائجة فى ذلك الوقت، قررنا أن نمسك بأيدينا جميعا ونتدافع مثل الآخرين، الأفيش وحده يستحق المجازفة، استطعنا بعد تقاتل شرس الوصول إلى الشباك، وجدنا اثنين مفتولي العضلات، يعترضان طريقنا وبصوت عالي للجميع:

- الصالة على آخرها يا جماعة.. استنوا بقى العرض الجى.

حدثنا أنفسنا: عرض قادم معناها دخول الليل.

قررنا الرجوع، كنت أكثرهم حزنا، هذه هي المرة الأولى التي أذهب فيها للسينما.

زهــرة البنفسج:

لم أر صـورة واحـدة لحميـد ، أو بمعنـى أدق، لم أحـاول البحـث عنـه، اكتفيـت بشـجنه الـذى يفـيض مـن صـوته وألحانـه، خـلال هذين الألبومين التي قامت بتسجيلهما الست حمديه.

أذكـر فـى هـذه السـنة ١٩٩١ ، أحـداثا كـثيرة، كنـت عنـد صديقي وجارى أحمد حافظ، نلعب لعبة البلى التي كنت محترفا فيهـا ، لدرجـة أن أبنـاء منطقتي كـانوا يأخـذونني معهـم، لملاقـاة منـاطق أخـرى لتعـويض خسـارتهم، بعـد انتهائنـا مـن اللعـب أنـا وأحمد ، نصعد لغرفتـه بالـدور الثـاني، يتركـني أمـام التليفزيـون، يصـعد هـو إلى السـطح، يحـرك الإريـال باتجـاه كـوبرى سمنـود ، ينادى على بأعلى صوته كي أسمعه.

- كده كويس.

أخاطبه أيضا بصوت عال..

- ارجع سنة.

عندما تظهر القناة الثانية الإسرائيلية بوضوح، أصرخ مهللا.

- اثبت على كده يا أحمد وتعالى.

ينزل مسرورا ، كنا نفعل ذلك بشكل يومي، عندما يدنو الليل فى الصيف، فى هذا التوقيت تكون الإشارة أفضل، لرطوبة الجو التي تقوى الإرسال، فى أحد تلك الأيام، دخل علينـا أخـوا أحمـد الكبير هو وأصدقائه بلهفه شديده، مع أحدهم شـريط كاسـيت يحمل صورة لمطرب يرتـدى جاكيـت أسـود ، تمـلأ ملامحـه وحزنـه

الصورة، مكتوب أسفلها كلمة «كواحل»، عند دخولهم استطعنا سريعا تحويل القناة، ذهب صاحب الشريط نحو الكاسيت، بعدما جلسوا جميعا باهتمام، قبل أن يديره حدثهم.

- زي ما قولت لكم ها تسمعوا شريط خرافة.

لمحت الشريط من خلف زجاج الكاسيت، كان لونه مميزا بالفوشية، محفور على جسده كلمة الشرق، استمعنا واستمتعنا، كانت هذه أول مره أتعرف بها على حميد من خلال تلك الصورة، اخترت له اسما من كثرة بهجتي عند استماعه، هو «صانع البهجة».

في تلك السنه أيضا تابعت فى الأخبار، حرب الخليج التي بدأت فى شهر يناير، لم أستوعب الحدث جيدا، سمعت وقرأت، أن تسعا وثلاثين دولة تحالفوا ضد العراق بما فيها المملكة العربية السعودية ومصر، بعد رفض قرار مجلس الأمن الدولي بانسحاب العراق من قبل الرئيس صدام حسين، ذلك بسبب غزو العراق لدولة الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ وضمها لها، صرح وقتها الرئيس العراقي، أن الغزو جاء ردا على الإفراط فى إنتاج النفط فى الكويت، الذى كلف العراق ١٤ مليار دولار عندما انخفضت أسعار النفط.

تدخلت قوات التحالف، غزت الكويت وجنوب العراق ٢٤ فبراير، فى خلال أربعة أيام هزمت القوات العراقية وتحررت الكويت، قرأت أيضا فى الصحف، قرار صدمني، لا أعرف سببه، وقف حميد الشاعري، ومن يتعامل معه يصدر قرار بإيقافه هو الآخر، حاولت مرارا وتكرارا معرفة تهمته، لم أجد غير ردا

غير مقنع بالنسبة لي، وأعتقد بالنسبة لغيرى، هو عدم تجديد كارنيه نقابة الموسيقيين وقيمته ستة عشر جنيها فقط لا غير.

في نفس العام سمعت عن عم نجيب، الذى افتتح محلا لتسجيل الكاسيت، لا يبعد كثيرا عن الست حمديه، كان بارعا فى مجاله، كنت أقف بجواره أتابعه بعد انتهاء التسجيل وهو يقتص الزائد ثم يقوم بلحام الشريط مرة أخرى ليصبح بنفس حجم ومدة الشريط الأصلي، هذا بخلاف الجودة العالية التي تجعلك لا تميز الصوت الأصلي من التقليد، مما أدى إلى غلق الست حمديه للمحل واكتفائها ببيع الفاكهة أمامه، لندرة الوافدين عليها من عشاق الكاسيت.

في فترة توقف حميد التي امتدت لأربع سنوات، تعرفت على مطربين كثيرين من خلال عم نجيب وثقافته الغريبة عن كل مطرب، عرف مطلبي، سجل لي ألبومات حميد التي كانت تنقصني، أعطاني أيضا تواريخ إنتاجها «عيونها» سنة ١٩٨٣، «سنين» سنة ١٩٨٥، «أكيد» سنة ١٩٨٦، «شارة» سنة ١٩٨٩، «حكاية» سنة ١٩٩٠، «كواحل» ١٩٩١، فى هذه السنه أيضا أهداني خالي السيد كاسيت جاء به من الإمارات أثناء عطلته السنوية بعد إلحاح من والدتي، لمعرفتها بحبى الشديد للكاسيت، فرحت به فرحا هستيريا، أخيرا أصبحت أمتلك مسجل، كان لونه أسمر وله سمعتان وبابان أحدهما يسجل، بعد الصداقة التي صارت بيني وبين عم نجيب، نظرا لترددي الدائم عليه، وولعي بالموسيقى، أصبح يخاطرني بكل جديد، حدثني أيضا عن اكتشاف حميد لأصوات جديده، منهم إيهاب توفيق ومصطفى

قمر وإبراهيم عبد القادر، وإعادة إنتاج عمرو دياب فى ألبوم «ميال» سنة ١٩٨٩، وثلاثي فرقة الأصدقاء التي أسسها الموسيقار عمار الشريعى عام ١٩٨٠ وهم «علاء عبد الخالق» فى ألبوم «مرسال» سنة ١٩٨٥، و«حنان» فى ألبوم «بسمة» سنة ١٩٨٩، و«منى عبد الغنى» فى ألبوم «أصحاب» سنة ١٩٨٧، وغيرهم من المطربين.

عم نجيب كان نحيفا، بشرته السمراء تملئها التجاعيد، يصبغ شعره الأبيض باستمرار، رغم تجاوزه سن الستين، إلا أنه كان نشيطا وحيويا، يحمل أفكارا شبابيه بداخله، يرتدى دائما «ترنج رياضي» عندما أسأله عن سبب ارتدائه، يبتسم مداعبا ويقول:

- زي صاحبك حميد.

عندما أجد صوت الأغاني مرتفعا، أعلم أنه حزينا وحادا مع زبائنه، فلا أدخل عليه وأتركه حتى يهدأ، فى أول مره ظننت أنه بذلك مسرورا، فوجئت بعصابيته وهو يطلب منى أن أتركه وحيدا، فى لقائنا التالي ظل يعتذر لي حتى كدت أن أمل، عندما سألته عن السبب، حكى لي أنه تخرج من معهد الموسيقى العربية، قسم علوم الموسيقى، كان يحضر بشكل دائم الحفلات التي كانت تقام بدار الأوبرا، دراسته فى القاهرة أجبرته على توفير سكن بجوار المعهد، أثناء إحدى الحفلات فتن بعازفة كمان، «زهرة البنفسج» هكذا كان اسمها، أخذ يوصفنها: عندما تقف برشاقتها وسط الأوركسترا تعزف مقطوعتها، تترك رأسها وجسدها للكمان، يتخللهما كروح بعثت فيهم، تنطق عزفا، شعرها الناعم المنساب على كتفيها، يتراقص ويتمايل معها، عزفها يصيب القلب فينزف شجنا، يعلو

صوت بكاء العزف عندما يهدهده الناي، فتتزف باقي الآلات فرحا لتبدأ المقطوعة الموسيقية.

عندما قابلتها بعد انتهاء الحفلة، تعبيرا عن إعجابي بعزفها، اكتشفت أنها تدرس معي بالمعهد فى قسم العزف، منذ ذلك الحين وأنا أذهب إلى قسمها وأستمع إلى الكمان الذى تحتضنه كعاشق، أصبحت أقابلها بشكل دائم، نتحدث عن الموسيقى التي نعشقها، لا مانع أن يتخلل الحديث بعض من المغازلة، اهتممت بها أكثر من نفسى، تخرجنا، أصبحت عازفة كمان معروفة فى وسطها، فى إحدى الحفلات وهى تعزف، شعرت بأن الكمان هو الذى يحتضنها، ظلت تعزف دون توقف، علا صوت الكمان كأنه يصرخ، ثم سقطت فجأة، حملنها إلى أقرب مستشفى، لم يسعفنا الوقت، رحلت نتيجة أزمه قلبيه مفاجئة، حزنت عليها حزنا شديدا، سافرت بعدها إلى العراق، حاولت أن أنساها، فشلت، قررت عدم الزواج وفاء لحبى لها، لم تستطع امرأه أخرى نزعها من قلبي، لولا حرب الخليج ما كنت عدت، كلما تذكرتها، أرفع صوت الكاسيت لطرد صرخة الكمان منه.

خمسون قرشًا:

تعرفت على أصدقاء جدد فى بداية عامي الدراسي الجديد الأول بالثانوي الفني، انفصل عنى أحمد حافظ لانتقاله إلى الثانوية العامة، أصبحت أقابله بالصدفة فى الحارة، لكنى أخصص وقتا يوميا فى المساء للجلوس مع عم نجيب، الذى كان يطلعني بجديد صانع البهجة، يوضح لي المزج الذى يبتكره حميد فى التوزيع الموسيقى، ما بين الشرقي والغربي، واستخدام جميع الآلات بشكل متجانس، ليعطي فى النهاية لوحة فنية فائقة الجمال.

في أول يوم دراسي، تعاركت مع أحد الطلاب حتى هزمته، ولكى أتباهى أمام زملائي الجدد، أخبرتهم أنى أمارس رياضة الكاراتيه، لم يصدقوني، طلبوا منى إثبات ذلك، فهزيمة الطالب أمامهم ليست كافية، جاء فى ذهني دون تردد ابن عمى الكابتن مدحت، مدرب الكاراتيه بنادي القرية، سوف أطلب منه كارنيها عليه شعار الرياضة، لن يبخل علي به، أحتفظ به فى محفظتي، أخرجه متباهيا به أمامهم، بالفعل تحقق مرادي وأصبح لدى الكارنيه، لكن كل جلسه مع زملائي يطالبونني بممارسة ولو حركة واحدة مثل التي يشاهدونها فى أفلام الأكشن، أتهرب منهم فى كل مرة بأي حجة، حتى قررت أن أمارسها لإعفائي من هذا الحرج الدائم.

أول رحله ذهبت فيها مع أصدقائي الجدد، كانت لمدينة الإسكندرية التي أزورها لأول مره، تجمّعنا فى محطة القطار بمدينة «سمنود»، وجدت أحد أصدقائي يحمل فى يده كاسيت

ماركة ناشونال، انقضضت عليه أحمله عنه، سيكون مصدر سعادتي لمدة ثلاث ساعات حتى وصولنا إلى الإسكندرية.

وصلنا لبيت الطالبات، لا أعلم لماذا لم يسمونه بيت الطلبة والطالبات ليعفونا من هذا الحرج، بيت قديم متهالك فى شارع يطل على البحر بمنطقة جليم، يبدوا من مظهره أنها كانت فيلا لأحد الأعيان، مكونة من طابقين وحديقة واسعة، يحرسه رجل أسمر فى مقتبل الخمسينيات، من هيئته ولكنته تعرف أنه صعيدي، فتح لنا البوابة الحديدية الضخمة ليستقبلنا بابتسامته الهادئة، صعد بنا المشرفون للطابق الثاني، حيث خمس غرف واسعة، بكل غرفة ثمانية أسرة، أخذت أنا وأصدقائي الغرفة المجاورة للحمام، بحكم أننا الثمانية من قرية واحدة، باقي الطلبة قسموا أنفسهم على باقي الغرف، أخذ المشرفون الستة غرفتهم بجوار السلم ليستطيعوا حصرنا ومراقبتنا فى الدخول والخروج، لذلك كان بابهم مفتوحا طوال الوقت، حجزت سريري بجوار وائل صاحب الكاسيت بناء على طلبهم جميعا، لعلمهم بسرعة إسعافي وربما إجراء جراحة إذا لزم الأمر، فى حالة لو أن موتور الكاسيت تباطأ وابتلعت بكرته الشريط أو مزقته، يتلذذون بمشاهدتي إجراء مثل تلك الجراحات الدقيقة التي تنجح فى النهاية بإبقاء الشريط على قيد الحياة واستعماله مرة أخرى، علمني كل ذلك عم نجيب.

نظم المشرفون أسبوعا كالتالي...

كل يوم بعد الإفطار نزور إحدى المعالم السياحية للإسكندرية حتى الثانية عشرة ظهرا، ثم وجبة الغداء وبعدها جولة حرة للطلاب حتى الثانية عشرة فى منتصف الليل.

في يومنا الأول بدأنا بالجولة الحرة بعد الاستراحة من عناء الطريق، خرجت كل مجموعه مع بعضها نظرا لعدم معرفتنا جيدا بالإسكندرية من جهة، وجهة أخرى لنستمتع بالصحبة، قررت أنا وأبناء قريتي أن نتمشى على الكورنيش الذى يطوق البحر بطول ذراعيه، ذهابا وإيابا على أن نحدد معالم شارعنا للرجوع إليه بسهوله، عند استقبالنا البحر قال لنا صديقنا المولع بالسينما محمد درة.

- المكان ده ما بيفكركوش بحاجه.

كلنا فى نفس واحد

- حاجة إيه!!

- حد فيكوا شاف فيلم (أيس كريم فى جليم).

تذكرت حينها نادى الفيديو الذى كان يمتلكه والد صديقي أحمد حافظ، كنت أشاهد جميع الأفلام مجانا، أساعده فى تحصيل الإيراد، أذهب لأستأجر لهم الأفلام أحيانا، شاهدت هذا الفيلم هناك، كانت به أغنية أعشقها (رصيف نمرة خمسة)، وكنت أيضا عاشق لأفلام الإثارة والأكشن للنجم العالمي جاكي شان، بطلى المفضل، كنت أنتظر مولد سيدى غانم من كل عام لأحصل على صورته جراء إصابتي الدقيقة فى النيشان، أو صوره لصانع البهجة.

أنا الوحيد الذى صرخ بحماس.

- أنا شُفته.

- أهو عمرو دياب صور أغنيته هنا.

اغتاظ الجميع منه على تعطيلهم لإلقائه معلومة لم تسمنهم أو تغنيهم من جوع، إلا أنا، أخذني الحلم، تخيلت أنى أقف فى هذا الموضع أشاهد "عمرو دياب" وهو يغنى «أيس كريم فى ديسمبر.. أيس كريم فى جليم».

أكملنا مسيرتنا، استمتعنا برؤية البحر وقصصه التي ألهمتني الكثير، تجمعنا فى الموعد المحدد، كل مجموعة حكت ما شهدته فى جولتها، إلا حسن، طالب معنا من قرية «نوسا البحر» تجول وحيدا، وصف لنا أماكن لم نشاهدها ولا سمعنا عنها، قبل نومى ذهبت لغرفته، وجدته مستيقظا على سريره ممسكا بورقه وقلم، تائها فى ملكوته، جلست بجواره سائلا ومستفسرا.

- أنت زرت الأماكن دي إزاي؟؟

خرج عن شروده مبتسما.

- أقولك على سر وما تقولش لحد.

- فى بير.

- أنا ما أملكشى فى جيبي غير خمسين قرش بس.. لأنى عارف ظروف أبويا وأمي وكفاية إنهم طلعوني الرحلة.

اندهشت غير مصدق، قبل أن أبادره بسؤال آخر، أكمل حديثه.

-بص يا سيدى عشان ما تحتارش.. أنا مقسم الخمسين قرش دي على خمس أيام.. كل يوم عشر قروش (بريزة) أركب بيها خط من خطوط الترام.. أقعد جنب الشباك أتفرج ع اللي رايح واللي جاي وأتعرف على ملامح البلد وأقعد أكتب.. والميزة إن طول ما التذكرة معاك محدش يقدر ينزلك.. فافضل راكب الخط ده

طول الجولة رايح جاي لحد ما أحفظه صم.. واليوم اللي بعده اخط تانى وهكذا.

سألته باستغراب عن كلمة أكتب.

- بتكتب إيه؟؟

- أغاني.. أصل أنا ناوى أنزل القاهرة وأقابل أي مطرب وأديها له.

داهمنا الوقت حتى سمعنا أذان الفجر، توضئنا وصلينا أنا وهو جماعه، جلسنا بعدها نكمل حديثه الشيق حتى أطرق المشرفون الأبواب علينا للإفطار.

عند مرورى أنا وأصدقائي فى جولتنا بمحطة الرمل، وجدت محلا ضخما لبيع الكاسيت، عليه صورة كبيرة «بوستر» لجورج وسوف وألبومه الجديد «كلام الناس»، دخلت واشتريت نسخه أصليه «ستريو» بستة جنيهات، هذه المرة الأولى التي أشترى فيها شريطا أصليا، عند رجوعنا وضعنا الشريط فى الكاسيت واستمعنا إلى أغانيه حتى قرب الفجر، أثناء تواجدنا بالإسكندرية التي فجرت عشقا كبيرا بداخلي زرنا «القلعة - حديقة الحيوان - المرسى أبى العباس - متحف المجوهرات - حديقة الأسماك»، فى جولتنا الأخيرة قابلنا زملاء لنا بمحطة الرمل، حدثونا عن قاعة أفراح تطل على ميدان المحطة، اكتشفوها أثناء تجوالهم، لا تخلوا من الراقصات الفاتنات، لم نكذب خبر، صعدنا جميعا، وجدنا ثلاث راقصات يرقصن دفعه واحده، القاعة ممتلئة عن آخرها، كنا أكثر من اثنى عشر طالبا، استغرب الحاضرين عند دخولنا، ظن أقارب العروسة أننا نتبع لأقارب

العريس والعكس، لذلك لم يطردنا أحد برغم أننا أثرنا شغبا وأحدثنا ضجيجا، خصوصا عندما بدأوا فى توزيع وجبات فى علب صغيرة، أكلنا ومتعنا أنظارنا، وندمنا على عدم اكتشافنا لذلك المكان منذ البداية.

نـــادى الأدب:

عند انتقالي للصف الثاني الثانوي الصناعي ١٩٩٤، كنت أحمل معي ألبوما عثرت عليه عند أولاد خالتي، لونه أزرق ومكتوب عليه «روائع ٩١» بصوت محمد محيي، يجمع معظم الأغاني التي اشتهرت فى تلك السنه، عبارة عن مقاطع قصيرة من الأغاني التي كانت رائجة وقتها مُمُنتجة بشكل متجانس لتكون جميعها فى أغنية واحدة أغلبها لصانع البهجة، فرحت جدا بهذا الألبوم وكأنني عثرت على كنز، أخرج الشريط من جيبي، أعطيه لسائق الأتوبيس الذى كان يصل بنا أمام المدرسة بمدينة (أجا) يوميا، يضعه فى الكاسيت، أشعر ببهجة عند تشغيله، خصوصا عندما يسألني أحد الحاضرين عن اسم الألبوم نظرا لإعجابه به.

كنت دائم التسكع عند بائعي الكاسيت، بين محل «صلاح ومحمد» فى السكة الجديدة بالمنصورة، و «عيد» فى الحنفي بالمحلة، وبائعي النسخ المضروبة فى سوق الجمعة، فى أحد تلك الأيام وجدت «بوستر» لصانع البهجة عند صلاح ومحمد يشبه إلى حد كبير «بوستر» ألبوم كواحل، دققت النظر وجدت أسفله كلمة «لوين»، عند استفساري وجدت أنه ألبوم جديد بعد توقف دام أربع سنوات، فرحت جدا بعودته، طلبته من الرجل، فوجئت بثمنه ثلاثة عشر جنيها، هذا أعلى من السعر العادي أربعة جنيهات، تحسست النقود فى جيبي لم أجد سوى خمسة عشر جنيها، ترددت فى إخراجهم بادئ الأمر، لكنى عزمت فى النهاية على شرائه، اثنان من الجنيهان كفيلان بإرجاعي إلى قريتى مرة

أخرى، كان الشريط غريبا إلى حد كبير، جرابا من القطيفة يشبه المحفظة، لونه كحلى ومكتوب عليه باللون الذهبي حميد الشاعري، أسفلها كلمة لوين، فى الجانب الأيمن شريط لونه عسلي، والجانب الأيسر كتيب صغير بالألوان، يوجد بداخله فى كل صفحه صورة الغلاف التي رأيتها فى بادئ الأمر بمدخل المحل، بجوارها اسم الأغنية وكلماتها ومؤلفها وملحنها وموزعها، لفت انتباهي كلمات قبل سماعها لشاعر اسمه «محمد القصاص» اسمها «طاحت»، لاختلافها عن السائد، كانت كالآتي:

طاحت أوراق التوت
أعرف منين
إن كان خريف أو موت
أعرف منين
إن الربيع ده له رجوع
وإني اترسمت
على الجذوع
وان الحنين للعاشقين حد
لو زاد
يتقلب للضد
أعرف منين
إن الغرب غرب
وان الشرق شرق
أعرف منين الفرق

وانا الغريب فى البداية
وانا الغريب فى النهاية
لو عرفوني عرفت
لو فهموني فهمت
لو علموني علمت
لكنهم
من جهلهم
ناموا
ف نمت.

بعد سماعى لم أفهم لماذا غيّر النهاية لتصبح هكذا:

لكنهم
عن دربهم
مالوا
ف ملت.

مع إن الأولى أوقع من وجهة نظري.

بعد انتهائي من الألبوم، ذهبت به إلى عم نجيب الذى سجل نسخه منه واحتفظ بها.

أذكر أيضا أثناء سيرى فى عوض اللّه بالمنصورة وجدت محلا ضخما لبيع شرائط الكاسيت، دخلت وأخذت أبحث عن ألبومات جديده ربما لم أسمع عنها من قبل لصانع البهجة، وجدت ألبوما عليه مجموعة من نجوم الغناء فى هذه الفترة، مكتوبا عليه "العالم قام" وأسماء المطربين بخط ضئيل لم أستطع قراءته من خلف الفاترينه التي تفصلني بينها وبين الرف الموضوع عليه

الألبوم، برغم أن الصور كانت مرسومة باليد إلا أنى تعرفت عليهم، سألت الرجل عنه أخبرني أنه لحميد الشاعري صدر سنة ١٩٩١، أصدره أثناء حرب الخليج، اشتريته على الفور وعند سماعه، فجَر حالة بداخلي دفعتني لكتابة أول كلمات لي، حدثت نفسى أنه باستطاعتي كتابة الأغاني التي اكتشفت موهبتي فيها، جاءت الكلمات الأولى عن الحرب والسلام، لم تغب عن عيني الأحداث التي سمعتها وشاهدتها فى حرب الخليج، كان أول متلقى لي هو عم نجيب، أسمعته هذا النص ونصين آخرين على نفس الوتيرة، قال بعد سماعه.

- الكلمات دي تفوق سنك يا محمد.

- مش فاهم.

- هيه كلمات جميلة وتحمل قضيه وهم عام.. لكن أنا عايزك تعيش لحظات سنك.

- ممكن توضح كلامك أكتر.

- ما فيش شك إنك عندك موهبة.. واللي فى سنك مر بتجارب حب أكيد.. ليه ما تحاولش تكتب عنها.. وبعدين فيه خلل فى الوزن.

- الحالة طلعت كده.. وما قدرتش أمنعها.

- عموما أنت لازم تتوجه صح.. فيه صديق ليا فى قصر ثقافة المنصورة اسمه عبد الفتاح الجمل.. عضو عامل فى نادى الأدب.. روحلوا وعرفه إنك من طرفي.

حدد لي عم نجيب مكان القصر، وموعد الندوة، الأحد من كل أسبوع الساعة السادسة مساء.

كعادتي ذهبت قبل الموعد بحوالي ساعة، لم أجد أحدا بالقاعة، سألت رجل الأمن فى مدخل القصر، أجابني.

- انتظر فى القاعة زمنهم على وصول.

بعد حوالى نصف ساعة، دخل شاب فى منتصف الثلاثينات، جلس أمامي على الطاولة دون سلام، ترددت كثيرا فى سؤاله، تشجعت فى النهاية وسألته.

- لو سمحت مش هنا نادى الأدب.

- أيوه

- الأستاذ عبد الفتاح الجمل جاي النهارده.

- فى الحقيقة أنا بقالي مدة طويلة ما باجيش النادي.. عايزه فى حاجه ضروري.

شرحت له الأمر، طلب منى أن أسمعه ما كتبت من أغاني، بعد ما سمع منى أكثر من نص قال.

- انت عندك موهبه.. بس الموهبة مش كل حاجه.

أخبرني عن العروض، نظرا للكسور فى الوزن، شرح لي أن الكلمة تتكون من حركه وسكون، أخذ منى ورقه وقلم وبدأ يرسم لي الحركة برمز الشرطة هكذا «/» والسكون برمز الدائرة هكذا «O»، والسبب الخفيف والوتد المجموع، أعطاني مثالا لكلمات أغنيه فوجئت أنها لحميد الشاعري، لا أعلم لماذا هذه الكلمات تحديدا، ربما عاشقا هو الآخر له، أنصت إليه بتركيز شديد وهو يقول:

- اسمي بشر.. عمرى ألوف.. والإنسانية مهنتي

عنواني دنيا.. من الحروف.. جميع ما أملك كلمتي

جنسيتي من غير حدود.. خدت الأمل جنسيتي

وديانتي رحمه للوجود.. والحب معنى قصتي

توقف عند هذا الحد وأخذ يقطعها عروضيا، أدركت الدرس فى جلسة واحدة، نظر فى ساعته، قام لينصرف، مد يده بالسلام وقال.

- ما فيش نصيب أحضر الندوة.. عموما فرصه سعيدة يا..

بادرته باسمي سريعا

- محمد على النجار.

ابتسم وقال:..

- وأنا حسام العقدة.

بعد انصرافه بقليل، جاء أول وافد، أخذ يتفحصني بعينيه الثاقبة، ثم بادرني بالسؤال.

- أنا أول مرة أشوفك هنا.. أنت أديب والا متذوق.

لم يكن طبيعيا، كان يتحدث بارتباك، شفاهه غليظة وصوته عالي، أصلع وله شارب كثيف، فى خنصره خاتم ذو رأس كبيرة، أشعرني حديثه بالخوف، جاوبته.

- باكتب شعر غنائي.

- سمعني كده.

حدثت نفسى: «ربما يعانى الرجل من مرض نفسى، أو ربما يكون بلطجيا يريد إزائي، فى كلا الحالتين ليس أمامي غير أن

أسمعه»، وأنا ألقى عليه كلماتي بدأت تتوافد الناس، حينها شعرت بالاطمئنان، توقفت، شعرت بغضبه.

قال بصوته الأجش:

- وقفت ليه..!!

- متهيأ لي أقول لما الناس كلها تحضر.

نظر إلي بنظرته الثاقبة قائلا:

- معاك حق

أحضر لي دفترا كان ملقى على الطاولة، أخبرني أن أكتب بياناتي فيه، ثم طاف على الجالسين لتسجيل بياناتهم، حتى جاءت امرأة وجلست على رأس الطاولة، أعطاها الدفتر، وبرغم أنى متصدر القائمة تجاهلت اسمي، ربما لأنى لم أكتب بجوار اسمي شاعرا، نطقت باقي الأسماء ليدلوا بدلوهم، استمعت إلى إبداعاتهم ونقدهم من بينهم الأستاذ عبد الفتاح الجمل، عرفته عندما تطلب منه مديرة الندوة التعليق على الأعمال، قبل انتهاء الندوة بدقائق صرخ الرجل فى وجه المرأة قائلا:

- فيه شاعر جديد اسمه فى الأول وانتى تعمدتى تتجاهليه

جاوبته بحرج:

- أسفه يا أستاذ فريد ما أخدتش بالى

نظرت فى الدفتر:

- الأستاذ محمد على النجار.. اتفضل قول نصك

شعرت بحرج شديد، لم أطلب منه التحدث باسمي، بعد انتهائي عقبت مديرة الندوة قائله:

- هذا الكلام لا يرقى إلى الشعر

قاطعها الأستاذ عبد الفتاح الجمل قائلا:

- أنا لا أتفق معك يا أستاذه أمل فى ذلك.. هو يمتلك موهبة.. أما الأوزان سيتداركها فيما بعد.

انتفض الأخ فريد صارخا:

- أمثالك اللي بيطفشوا الناس من نوادي الأدب

قامت الأستاذة أمل بالرد عليه، أصبحت معركة باللعن والسباب، مما اضطر الأستاذ عبد الفتاح بإنهاء الندوة، وفض المشادة بينهم، انصرفت ولم أخبر الأستاذ عبد الفتاح بمعرفتي بعم نجيب؛ نظرا لانشغاله بالمعركة التي ما زالت دائرة.

لم أعرف كيف أنهى فريد معركته وألحق بي، أوقفني محدثا بالسلام.

- أخوك فريد المصري.. شاعر عامية.

مددت يدى بالسلام، جذبني للسير معه، حدثني عن صولاته وجولاته فى مجال الشعر، أسمعني بعضا من أشعاره التي أبهرتني وقتها، لدرجة أننى لم أصدق أنه صاحبها، سألني من أين أكون، أخبرته باسم قريتي، أخذني باتجاه محطة القطار، ظل معي فى انتظار قدوم قطار طنطا الذى يمر على مدينة سمنود، أعطاني حلا نموذجيا لمسألة الأوزان، وهى التقطيع بالطرق على القدم، كأنك تغنى وتلحن ما تكتب، كان كريما معي بتصرفه، عند قدوم القطار ودعني قائلا:

- مع السلامة ونتقابل الحد الجاى بإذن الله

أخذني الإصرار حتى استطعت أن أكتب أغنية موزونة، ألقيتها فى الندوة التالية، استغرب الجميع على قدرتي العروضية بهذه السرعة من بينهم فريد الذى وقف مهللا:

- ده نتاج تعليمي

حينها لمحت شخصا بدينا فى آخر الطاولة يرفع يده للتعليق، ابتسم بهدوء بعدما أعطته مديرة الندوة الإذن بالتحدث.

- مش كل كلام موزن ومقفى يبقى شعر

قاطعه الأستاذ عبد الفتاح الجمل قائلا:

- سبب استغرابنا وثائنا عليه.. إن ده تانى حضور له.. وأول حضور ما كانشي بيعرف يوزن

- أنا باعلق على نص قدامى.. ومالیش علاقه هوه إيه قبل كده

هاجمه الجميع، لكنى تعلقت بكلامه، بعد انتهاء الندوة، ذهبت إليه قبل انصرافه سائلا:

- كنت تقصد إيه بكلامك؟

قبل أن يتحدث قاطعه فريد بالسلام:

- إزيك يا مصري.. بقالك مدة ما بتحضرش

- مشاغل

نظر لي فريد معرفا به بتفاخر..

- ده صديقي الشاعر السعيد المصري.

ثم أشار لي:

- وده الشاعر محمد على النجار.. بلدياتك يا سعيد.

اندهشت سائلا:

- انت من «منية سمنود».

رد السعيد:..

- من «جراح».

فرحت عند سماع ذلك، ف «جراح» لا تبعد عنا بكثير، اثنان أو ثلاثة كيلو مترات تفصلنا عنها، لكن استوقفني الاسم سائلا مرة أخرى:

- انت وفريد قرايب؟

ابتسم السعيد قائلا:

- مجرد تشابه فى اسم المصري.. لو مروح دلوقتى إحنا طريقنا واحد.

في طريقنا.. حدثته عن أول كلمات كتبتها، وعن بداية حبى لكتابة الشعر الغنائي، أخبرني لكى أصل إلى مرادي، يجب أن أكتب الشعر العامي أولا، ساعدني بإعطائي كتبا استعرتها بعد ذلك من مكتبته الخاصة، أخبرني أيضا عن شاعر فصحى يعرفه جيدا من قريتي اسمه "محمد عبد الخالق شربي"، لم أكن أعرفه، عرفني به، بدأت أتردد عليه فى قريته لاستعارة الكتب، قرأت فى البداية لـ «بيرم التونسي، فؤاد حداد، صلاح جاهين»، أعجبت جدا بما قرأته، لأجد نفسى فى العامية أكثر من الشعر الغنائي.

صرنا نحن الثلاثة أصدقاء، أصحاب هم واحد وهو الأدب، نظمت أول قصيده بالعامية أبهرت أصدقائي السعيد ومحمد عند سماعها حين ألقيتها كالآتي...

بيدلدل فكرة من الأوراق
بيبهدل
كل كلامه الواقع
فوق تسطير الروح
مسك الوهم و لوّن حلمه
ونشر الحلم فى حبل القلب
نشن جنب نواحي الحس غناه
علشان يطبع نبرة حسه
في زاوية بعيدة
ويقدر يلمح كل خبايا المعني
شيّع جاب فى خيوط دبلانه
وكتف خوف فى كابوسه
وخلع الجته..
.. ونام

ابتسموا وحدثوني أنى تطورت سريعا فى الكتابة.

شريط كوكتيل:

بعد تخرجي عام ١٩٩٦، توجهت للتقدم بالمعهد الفني للقوات المسلحة، كنت ولعا بالخدمة فى الجيش، رغم أنى وحيد ومعفى من الخدمة لإعالة والدتي الأرملة، سافرت إلى حلوان للإقامة مؤقتا عند خالي لحين انتهاء الاختبارات، كنت مقربا جدا لأحد أبنائه، اسمه محمد وشهرته صافى على اسم والده، بحكم تقارب السن بيننا وعشقه للكاسيت والموسيقى، نسهر طوال الليل نتحدث وأُسمعه بعضا من أشعاري التي كانت تُبهجه، حدثني أنه من الممكن مقابلة حميد الشاعري أثناء تواجدي بالقاهرة وأن له أصدقاء مقربين من بعض الفنانين سيحصل منهم على عنوان حميد ومحاولة مقابلته دون واسطه، على الفور أخذت العنوان وطرت إلى الدقي «٤٠ شارع مصدق»، وقفت أمام المبنى مترددا، انتابني قلق وخوف من مقابلته، فأنا شديد الخجل وعندي فى النفس عزة، تخيلت أنه رفض مقابلتي، أو حدثني بأسلوب فيه تعال وكبرياء، أو نظر لي دون اهتمام، ستتحطم صورته بداخلي ولم يعد صانعا لبهجتي، فضلت الانصراف على تلك المواجهة التي لا أعرف عاقبتها، سألني محمد صافى بعد رجوعي بتلهف.

- سبع والا ضبع

رأى فى عيني حيرة، سألني مجددا:

- قابلته

- لا

- مالقتهوش

- لا

- كان مشغول

- لا

- أنت عليك عفريت اسمه لا.

اندهش عندما أخبرته أننى ترددت فى الصعود لملاقاته، حاول الاستفسار عن السبب، لم أعطه جوابا شافيا، تركني يائسا وكأن لسان حاله يقول: «يا خيبتك».

اجتزت الاختبار الأول «القدرات» وانتقلت للاختبار الثاني «الكشف الطبي»، أعداد المتقدمين هائلة، جردونا من ملابسنا، ندخل فى كل غرفه للكشف أربعه، نخرج اثنين لائقين واثنين غير لائقين، هكذا كانوا يفرزوننا، أخذت أتابع وأحلل ما يحدث، أختزنه بداخلي، ثورتي وغضبى، فرحى وأحزاني، لم أعلم أنها ستنفجر يوما بالقصائد الناقمة على سياسة الدولة جراء الواسطة والمحسوبية، وسلاحي الذى أدافع به حتى عن ذاتي، اجتزت الدور الأول، فى الدور الثاني أول غرفه دخلتها العظام، خرجت ضمن اثنين غير لائقين، فقط لمحاولة تمرير الطبيب مسطره عرضها أربعة سنتميترات ما بين ساقى لتمر، مما يعنى تقوس فى الساقين، انتظرت فى الخارج حتى جمع الجندي المكلف بتقديم الملفات لهذا الدور الراسبين، أخذنا للدور الأول، قبل رحيلنا جاءنا لواء آخر طبيب أخذ الملفات من الجندي وطلب منا الاصطفاف، بدأ فحص ما رسبنا به كل حسب ملفه، إما أن

يؤكد الرحيل أو إعطاء فرصه أخرى، طلب منى ضم ساقى، ألصقتهم ببعضهم بقوة، نظر للجندي متعجبا وسائلا:

- ما هو كويس أهو

أعطاه ملفى من بين عشرة ملفات، نظر للتسعة الآخرين محدثا بلغة صارمة:

- اتفضلوا البسوا وروحوا

ثم نظر للجندي الحامل ملفى قائلا:

- خد الأخ ده واعرضه تانى.

صعد الجندي وأدخلني مع ثلاثة آخرين غرفة العظام، عندما رآني الطبيب مرة أخرى وهو يتفحص ملامحنا، صرخ فى وجه الجندي مشيرا إلى.

- مدخل الأخ ده تانى ليه..!!

الجندي بارتباك:

- ده وحيد باشا اللي مطلعه بعد ما فحصه.

- نزله خليه يلبس هدومه ويروح.

أمسك ملفى بغضب، كتب على وجهه بخط كبير «غير لائق»، أخذني الجندي وعلى وجهه احمرار محدثا نفسه أثناء نزولنا.

- وأنا مالي.. أنا بأنفذ تعليمات وبس.. همه لواءات فى بعضهم وانا اللي مطحون فى النص.

أعطى الملف للباشا وحيد وأخبره بما حدث، ابتسم وأمره بالانصراف، أخبرني أن أكتب تظلما بعشرين جنيها لإعادة

الكشف على طبيب آخر، لم أكذب خبرا، تظلمت وأعطوني موعدا بعد شهر فى نفس المكان «الكلية الحربية»، خلال فترة تواجدي عند خالي، أحببت ابنته الكبرى، باختلافها عن بنات القرية، حديثها معي فى كل شيء دون خجل، ملابسها المثيرة، شعرها الأصفر المنساب على كتفيها وطريقة تصفيفه، عطرها الثابت النفاذ، كل ذلك جذبني إليها، ظننت أنها تبادلني نفس الشعور حتى صارحتني ذات يوم بعشقها لجارها، صُدمت فى بادئ الأمر ولكن غلبتني براءة وطيبة ابن القرية، طلبت منى مساعدتها فى الحصول عليه، أصبحت مرسالا بينهما، أكتم عشقي وأحزاني، أنفرد بالكاسيت، أسمع ما يشبع حزني وأشجاني، حاولت الكتابة عن كل جرح بداخلي، لم تطاوعني الكلمات، عصت هي الأخرى، حاولت مرارا وتكرارا لشعوري بشيء داخلي سينفجر حتى جاءت تلك الكلمات:

الحلم..
هيرفض عرضك
مهما تحاول
تعصر فكرك وتصب لنا قصايد
ينسج فيها خيالك أي حكاية
تناغش بها حبيبتك
اغطس جوا كيانك أكتر
والحق أي كلام متبعتر
شد الحلم دا..
غصبن عنه

ينفذ كل مطالبك
هتمقق صوتك
في الإحساس الفاضي
بعلو ما فيه
و تدّور ع اللي يموت فى القلب
وتبكي عليك
فتخلي عيونك تشرب دمع
بطعم العلقم
طُس فى قلبك حبة حب
سد شقوقك
وأطلع من جواك
راح تلقي
حقيقتك توجع
حان الوقت
تغطي حكايتك..
وتنيم كوابيسك
تقفل باب الحلم..
.. وتصحي.

شعرت بارتياح وقتها، تحول حبى إلى أختها الصغرى، لم أكن أعرف أن هذا السن يكون به اضطرابات عاطفية منها الزائف ومنها الحقيقي، طلبت أمي التقدم لخطبتها بعد حديثي لها عن إعجابها بي، صدمت للمرة الثانية بعد رفض زوجة خالي بحجة أن ابنتها لا تستطيع العيش فى القرية، فوجئت بتمسك البنت بي مما جعلني أتمسك بها، كنت أذهب لمحلات الكاسيت، أنتقى بعض

الأغاني التي تعبر عن حبى لها، أضعها فى شريط يسمى كوكتيل، أرسله مع بنت خالتي المتزوجة بحلوان عندما تأتى لزيارة والدتها، تحمل لي منها كوكتيلا لحميد لعلمها بعشقي له، يحمل أغاني تعبر عن شعورها.

بعد رسوبي للمرة الثانية فى اختبارات الكشف الطبي، تقدمت فى معهد السياحة والفنادق بعد ما وزعت عمتي علينا أنا وإخوتي غير الأشقاء مبلغا ضخما من المال، نظير قطعة أرض باعتها داخل الكردون، لم تنجب أولادا، اعتبرتنا أولادها، كان المعهد الوحيد بالمنصورة بمنطقة توريل، جاءتنا مدرسة إنجليزي جديده، أعجبت بها وبثقتها فى شخصيتها، تهوى الاستماع إلى الأغاني الغربي، هكذا حدثتنا فى أول درس. كنت أستعير من محمد صافى بعض الألبومات الغربية لعشقه هو الآخر بها، أسجل الكلمات فى ورقة، أعطيها لها للترجمة، لم تعد بنت خالتي منشغلة بي كالسابق ولا أعرف السبب، انشغلت أكثر بمدرستي الجديدة، عندما تشعر بنظرات إعجابي، تتهرب منى كأنها على موعد وتنصرف خجلا، لم أر امرأة فى أنوثتها ولا رقتها، أحببتها رغم الفوارق بيننا وأعلم أن الارتباط مستحيل؛ لكنها منحتني بهجه كالموسيقى التي أعشقها حتى رحلت فجأة قبل تخرجي بشهور، سألت عنها إدارة المعهد، أخبروني أنها تزوجت وسافرت مع زوجها للخارج، حزنت جدا ولم تفارق صورتها مخيلتي إلى الآن.

يخلق من الاسم أربعون:

لم يكن يوما عاديا، كانت القنوات الرسمية الأولى والثانية قبل انطلاق القمر الصناعي سنة ١٩٩٨، تذيع فى العيدين الفطر والمبارك لأول مرة أفلاما أخذت وقتها فى العرض السنيمائي، من بين تلك الأفلام «قشر البندق» للمخرج الرائع خيرى بشاره، لم تتح لي الفرصة مشاهدته وقت عرضه سنة ١٩٩٥، أول ظهور لصانع البهجة (فتحي فى الفيلم) الموسيقى الإسكندراني مع صديقه النصاب قادمين من الإسكندرية للمشاركة فى مسابقة الأكل التي نظمتها إحدى الفنادق الكبرى بالقاهرة، فجر الفيلم قضايا كثيرة، احتياج المشاركين الشديد للمال، ووراء كل مشارك قصة إنسانيه تجعلك تتعاطف معها، من بينهم تهاني بائعة اليانصيب «عبلة كامل» التي تعشق فتحي بالرغم من معرفتها أنه نصاب.

جاءت النهاية مأساوية بموت فتحي من كثرة الأكل حتى أصيب بسكته قلبيه، تأثرت جدا بموته كأنه رحل فى الواقع، طرح الفيلم موسيقى تصويريه رائعة وأغاني كلها لصانع البهجة، استمعت إليها بعد ذلك فى ألبوم يحمل نفس الاسم، بالإضافة إلى ثلاث أغان لم تطرح فى الفيلم وهي:

«الفالصوا و الدهب» كلمات مصطفى ذكى.

«اعرف حدودك» كلمات عادل عمر.

«الناس قالوا» كلمات حميد الشاعري.

الموسيقى التصويرية والألحان والتوزيع كلها لصانع البهجة.

كتبت على إثر هذا الفيلم أكثر من نص شعرى، حتى جاءني السعيد المصري ومحمد عبد الخالق شربي ذات يوم إلى المنزل، جلسنا فى الشرفة، أخبراني أن أجهز ديوانا على وجه السرعة، اندهشت وقتها، كيف ونصوصي كلها لا تتعدى العشر قصائد من النوع القصير، حدثني السعيد أن الهيئة العامة لقصور الثقافة تنظم سنويا مسابقه كبيرة فى المجالات الأدبية، وليس أمامي غير أسبوع واحد على قفل باب التقدم، وهو علم بها متأخرا أثناء حضوره فى إحدى الندوات، أخبرني أيضا أنه نوى الدخول بديوان فى مجال شعر العامية المصرية قد جهزه، أرادنا أن نشارك ونذهب معه إلى القاهرة سويا، رفض محمد عبد الخالق متحججا بحظه العسر، وأنا بحجة إنني فى بداية كتابتي للشعر وبالكاد لن أفوز وسط أدباء متمرسين ولهم باع طويل فى الأدب، ظل السعيد يحاول إقناعنا، وافقت فى النهاية على اعتبار أنها فسحة ولن يكلفني شيئا طباعة وتصوير ثلاث نسخ وتقديمها، أما محمد عبد الخالق ثبت على موقفه بعدم المشاركة واكتفى بمصاحبتنا.

في تلك السنه أثناء تدريبي بمركز شباب القرية، استوقفنا حدث عجيب أذهلنا جميعا، يوم الثلاثاء الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، عندما كان يجلس مشرف النادي فى الغرفة المجاورة متابعا لنشرة الأخبار، صرخ فينا جميعا:

- تعالوا بسرعة.

تركنا التمرين مسرعين جميعا، تجمعنا أمام شاشة التلفاز الصغيرة لنجد طائرات مدنية تخترق برج التجارة العالمي وتنفجر به، ظللنا نتابع الأحداث والتطورات بانهيار البرجين، وسقوط

أعداد هائلة من القتلى والجرحى، منذ ذلك الحين أتابع الأخبار حيث غيرت هذه الأحداث الخارطة السياسية بالعالم، وأعلنت الولايات المتحدة حربها على الإرهاب، برغم تبنى تنظيم القاعدة بقيادة أسامه بن لادن هذا الهجوم، بدأت بأفغانستان وإسقاط حركة طالبان، ثم حربها الشرسة والغير مبرره على العراق، وأصبحت كلمة الإرهاب كلمة مطاطية تستخدمها أمريكا لفض أي نزاع بينها وبين دول أخرى.

اتجهنا نحن الثلاثة فى نفس العام إلى قصر ثقافة المحلة الكبرى أعضاء منتسبين، إلا السعيد المصري كان عضوا عاملا لنشر بعض نصوصه فى جرائد رسميه، اندمجنا فى الوسط الأدبي، مر عام تقريبا على المسابقة الأدبية حتى طرق بابي فى العاشرة مساء لأجد أصدقائي «السعيد المصري - محمد عبد الخالق - فتحي بكر - إبراهيم الملاح»، اندهشت عند رؤيتهم، بادرني فتحي بكر بسخريته المعهودة معاتبا:

- يا راجل ده شكل ديوان تقدمه.

لم أعط اهتماما لما قاله، أذنت لهم بالدخول، جلسنا وما زلت مندهشا من تجمعهم فى تلك الساعة، لابد أن الأمر جلل، بنظرات استغراب وتفحص سألتهم.

- خير يا جماعة.

انتبهت هذه المرة لمقولة فتحي عندما قررها

- ده شكل ديوان تدخل بيه مسابقة كبيرة زي دي

نظرت إليهم فى حرج وعلى ملامحهم الجدية مستفسرا:

- هوه ده اللي جمعكوا فى الساعة دي

رد إبراهيم الملاح:

- لا طبعا.. بس الخبر لما يوصل للجرائد يبقى مش عادى

بدأت أعصابي تهتز، سألته:

- قاصدك إيه؟

طلب من فتحي أن يعطيني الجريدة التي تحفظ عليها منذ دخوله، عرفت أنها جريدة الجمهورية عندما أمسكتها، طلبوا منى جميعا أن أفتح صفحة الأدب، أشار فتحي لخبر وسط الصفحة كتب عنوانه بالبنط العريض «نتيجة المسابقة الأدبية المركزية ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢»، طلبوا منى قراءته:

الدراسات الأدبية:

- المركز الأول: حجب.
- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): عفاف عبد المعطى، «قصيدة النثر.. الواقع الاستشراف» ـ القاهرة.
- المركز الثالث: حجب.
- المسرحية الطويلة:
- المركز الأول: حجب.
- المركز الثاني: حجب.
- المركز الثالث (١٥٠٠ ج): عماد داود نخنوخ مشرقي، «الحصار» ـ سوهاج.

الرواية:

- المركز الأول: حجب.

- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): محمد السيد إبراهيم داود، «السما والعمى» ـ المحلة الكبرى.
- المركز الثاني مكرر (٢٠٠٠ ج): صبحى أمين عبد السيد، «صمت الكهنة» ـ المنوفية.
- المركز الثالث (١٥٠٠ ج): منى أحمد أحمد عثمان، «لون هارب من قوس قزح» ـ قنا.
- المركز الثالث مكرر (١٥٠٠ ج): أحمد محمد طوسون عبد العزيز، «مراسم عزاء العائلة» ـ الفيوم.

المجموعة القصصية:

- المركز الأول: حجب
- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): وليد صلاح الدين محمد منير، «حقيبة طفل» ـ الغربية.
- المركز الثالث (١٥٠٠ ج): أحمد محمود على محمود، «إضاءات خافتة» ـ القليوبية.
- المركز الثالث مكرر (١٥٠٠ ج): سهى زكى عبد المنعم مصطفى، «سكن الروح» ـ الجيزة.
- المركز الثالث مكرر (١٥٠٠ ج): هاني محمد عبد المريد أحمد، «ذلك الوهج» ـ القاهرة.

ديوان شعر الفصحى:

- المركز الأول (٣٠٠٠ ج): إبراهيم محمد إبراهيم سليم، «أموت على صليبها» ـ القاهرة.
- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): سماح حسن صبري يحيى، «ليس فى صفوف الموتى من يسكت الذباب»ـ المنيا.

- المركز الثالث (١٥٠٠ ج): حمدي مصطفى محمد خليل، «من حوارات البراءة» ـ كفر الشيخ.

ديوان شعر العامية:

- المركز الأول (٣٠٠٠ ج): عبد الناصر محمد علام بلال، «جايز مؤقتا» ـ قنا.
- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): السعيد فتحي حمدين المصري.

قرأت الاسم مقطعا غير مصدق، وقفت مهللا ومباركا للسعيد المصري، لم يعد هناك مجال للدهشة، سبب مجيئهم فى هذا الوقت المتأخر هو فوز صديقنا بالمركز الثاني على مستوى الجمهورية فى ديوان شعر العامية، ابتسموا جميعا وطلبوا منى الهدوء والجلوس، ومتابعة باقي نتائج المسابقة، طبقت الجريدة، مددت يدى لأعطيها لفتحي، اغتاظ منى صائحا فى وجهى:

- أبوس إيدك اقعد وكمل باقي النتيجة.

جلست مندهشا، فتحت الجريدة مرة أخرى، وتابعت الخبر هكذا.

- المركز الثاني (٢٠٠٠ ج): فتحي السعيد حمدين المصري، «وردة فى قرطاس سولفان» ـ أجا ـ الدقهلية.

نظرت إليه مبتسما ومسرورا قائلا:

- ألف مبروك يا نجم

صرخوا جميعا فى وجهى، شعرت بصبرهم ينفذ، نفذت رغبتهم بالمتابعة قبل أن ينهالوا علي بالضرب، بعدما رأيت فى عيونهم احمرار الغضب، أكملت القراءة.

- المركز الثاني مكرر (٢٠٠٠ ج): محمد محمدين محمد محمدين، «زمارة روحك» ـ سوهاج.
- المركز الثالث (١٥٠٠ ج): محمد على محمد النجار، «مقتول بيحاول يصحى» ـ أجا ـ دقهلية

قصيدة شعر الفصحى:

استوقفوني جميعا، سألني فتحي بكر: «ألم تلحظ شيئا»، قرأت باقي الخبر غير مهتم لإرضائهم، اهتممت باسم صديقي وجائزته التي تعلقت فى ذهني، رددت عليه: «لم ألحظ شيئا»، هموا جميعا ليضربوني من غيظهم، دفعهم عنى فتحي، بكل هدوء أشار إلى اسمي، قرأته أيضا دون اهتمام، خرج فتحي عن هدوئه قائلا.

- يا ربى.. اسمك أهوه يا ابنى فاز بالمركز الثالث.
- نظرت إليه غير مصدق، محدثا إياه بهدوء
- يخلق م الاسم أربعين
- واسم الديوان برضوا.. يخلق م الاسم أربعين

وقتها شعرت أنه ضربني بمطرقة فوق رأسي، أصابني الذهول لحظات، توقف عقلي عن التفكير كأنه شُل، ببضع قصائد هي بكارة تجربتي، أفوز فى مسابقه كهذه، لا بد أن والدتي دعت لي دعوة فى ليلة القدر، انصرفوا بعد مباركتهم، أخبرني السعيد قبل انصرافه أن الهيئة ستقيم للفائزين احتفالا سيحضره رئيسها «أنس الفقى» ووزير الثقافة «فاروق حسنى»، ويجب أن أستعد.

كالزئبق اختفت

مرض عم نجيب مرضا شديدا ألزمه الفراش، مما اضطره لغلق المحل، حزنت لعدم وجوده معي فى مثل هذا اليوم، عوضني عنه أصدقائي وابن عمى المثال حمدي النجار المتواجد بالقاهرة فى شقه مستأجره بحلمية الزيتون، أخبرونا أن الاحتفال سيقام بمسرح الجمهورية بعابدين وهو تابع لدار الأوبرا المصرية، استأجرنا ميكروباص وذهبنا قبل الموعد بساعات، اختلسنا النظر لرؤية ما يحدث بالداخل، رئينا خلية من البشر تعمل بدأب كأنهم يحضرون فيلما سينمائيا، المسرح تحفة معمارية من الخارج والداخل، يشبه المدرج الفلافى «الكولوسيوم» الروماني بأعمدته الهائلة، قرأت عنه وشاهدت صوره، ربما الذى صممه وضع نصب عينيه هذا المدرج، اقترب موعد الحفل، صعدت المذيعة منى الشرقاوي على المسرح أمام البيدج لعمل بروفة، جلس الأصدقاء والأقارب فى الصالة الكبيرة، وضعونا خلف المسرح فى الكواليس، أجلسونا خلف ستارة ضخمة على كراسي مرقمة وعليها اسم كل فائز بالترتيب، جلس بجواري محمد محمدين محمد محمدين الفائز بالمركز الثاني مكرر، صار بيننا حوار تعارف، كل منا شعر أنه بطل هذه الليلة، جاءت موسيقى عمر خيرت بعذوبتها فى الافتتاحية لتعطيك إيحاء بشيء جلل سيحدث، رفع الستار عنا، لمحت ابن عمى يقترب من وسط الحاضرين بكاميرته، التقط لي صورا عديدة يسجل بها تلك اللحظ المهمة والفارقة فى حياتي، بدأت منى الشرقاوي تقديم الحفل بطريقتها

المعهودة التي تحمل ثقافة اللغة ورقة الحديث، قدمت فى البداية الوزير فاروق حسنى ورئيس الهيئة اللذين أتيا من جوانب المسرح، صاحبهما تصفيق حار من الحاضرين، أعلنت أسماء الفائزين حسب الترتيب البروتوكولي للجائزة، كما قرأته فى جريدة الجمهورية، يذهب كل متسابق عند سماع اسمه لاستلام الجائزة، عبارة عن شهادة تقدير بدرجة جائزته ومجالها، ميدالية برونزية عليها شعار الهيئة العامة لقصور الثقافة، ظرف مرفق به شيك بقيمة الجائزة يصرف من البنك المركزي المصري، بعد انتهاء الحفل توافد علينا مذيعو القنوات الخاصة فى بدايتها بعد انطلاق القمر الصناعي نايل سات بفترة قصيرة، سجلت حوارا مع قناة المحور، أما الوزير فتكالبت عليه القنوات الرسمة.

انصرف الجميع بينما أخذني ابن عمى إلى شقته التي ينحت بها تماثيله بحلمية الزيتون، منها لصرف الشيك فى اليوم التالي بدلا من السفر والعودة، ومنها تعريفي ببعض الفنانين والمثقفين الوافدين على أتليه القاهرة الذى هو عضو فى مجلس إدارته.

أثناء تواجدي معه نصحني الأستاذ حمدي بالتوجه إلى مقر جريدة الأهالي ومقابلة الأستاذة فريده النقاش بنت قريتي لنشر خبر فوزى بالمركزية من باب الانتشار واستغلال سنى المبكرة، رحبت بي على الفور وطلبت منى بجوار نشر الخبر صورة لي، لم أجد أفضل من الصورة التي التقطها لي جارى سامح زكريا الذى اصطحبته معي لتأدية تلك المهمة واستئجاري لكاميرا فتوغرافية له، أعطيتها الصورة الوحيدة لي مع الوزير وهو يسلمني الجائزة، فالمجازفة بتلك الصورة فى سبيل نشرها بإحدى الجرائد لأمر

يستحق، طلبت أمامي المسؤول عن الصفحة الأدبية وكان وقتها الشاعر الكبير/ حلمى سالم، أمرته بنشر الخبر، اصطحبنى إلى مكتبه لاستكمال بعض البيانات، انتظرت بعدها أسبوعا بفارغ الصبر، اشتريت الجريدة فى يومها الأسبوعي إلا أننى لم أجد شيئا، انتظرت إلى الأسبوع الذى يليه ثم الذى يليه، لا جديد، اتصلت بالأستاذ حلمى، أخبرني أن التأخير من قبل المطبعة وأنه سيعالج الأمر، فى كل مرة يصنع حجة من شكل حتى مللت، قررت الذهاب إلى الجريدة واسترداد صورتي فهي الوحيدة الكفيلة بتخليد تلك الذكرى الجميلة والتي ربما لن تتكرر ثانية، أخبرتني الأستاذة فريدة بكل أسف أنهم فقدوا الصورة وطلبت غيرها، أخبرتها أننى لم أستطع التقاط صورة أخرى مع الوزير وخفت أن أعطيها صورة أخرى من الذين التقطهم سامح لي منفردا أو مع الأصدقاء لضياعها هي الأخرى، انصرفت حزينا على ضياع هذه الفرصة ولعدم اهتمامهم بجائزتي.

الجائزة كانت النقلة الثانية فى حياتي بعد سماع أغنية «جلجلي» لصانع البهجة، أعطتني الثقة فيما أكتب، كونا أنا وأصدقائي جماعة أدبية بالمحلة الكبرى، ترأسها الأديب محمد أبو قمر صاحب فكرتها ومقترح اسمها «إفاقة الأدبية»، طبعت من خلالها أول ديوان لي الفائز بالمسابقة الأدبية «مقتول بيحاول يصحى"، لم تستمر الجماعة وقتا طويلا نظرا لانشغالنا جميعا، الجائزة أعطتني دفعة قوية فى الكتابة والاستمرار لدرجة أنى كتبت وطبعت ديواني الثاني «عرض القصيدة هايبتدى» بنفس السنة التي طبعت بها ديواني الأول سنة ٢٠٠٤، كنت قد عملت فى مطبعة

الحاج محمود أبو شحاته بقريتي، مما شجعني على الطباعة بأقل تكلفة وأقل مجهود، امتهنت قبل عملي هذا مهنا كثيرة بدايتها صبى ترزي مع الأسطى شوقي مرورا بعامل فى مصنع «لوليتا»، ومساعد سباك ... إلخ، حتى توقفت عن العمل بعد وفاة الحاج محمود أبو شحاته، وقتها أشار على أحد الأصدقاء عندما سألته عن أحد يستأجر جراج ملكي أسفل المنزل بفتحه مشروع بدلا من استئجاره، حيث أصبحت الآن لا أمتلك عملا، فالشعر والأدب ليستا مهنه أقتات منها قوت يومي، سألته عن طبيعة هذا المشروع، قالها دون تردد: «مكتبة»، لاقت الفكرة إعجابي، لكن يبقى رأس المال عائقا، أخبرتني والدتي بأن خالي السيد هو من سيقرضني المال وأسدد له من الأرباح، على الفور ذهبت إليه وحدثته فى الأمر، لم يتردد فى إقراضي، طلبت منه أن يقترح اسما لمشروعي الجديد، دون أدنى تفكير منه قال: «الإعلام»، كأن الاسم كان حاضرا فى ذهنه، من جهة أجبرني جارى «محمد الحسن أبو العينين» على تقديم أوراق تخرجي لشئون العاملين بمركز الكلى والمسالك البولية " جامعة المنصورة" حيث تبرع رجل الأعمال «طارق الشيشينى» الصديق الصدوق للعالم الدكتور محمد غنيم بقطعة أرض بقريتي منية سمنود، وبنائها بالكامل، وضمها للمركز لتكون أحد فروعه، نصحني محمد الحسن وقتها أن فرصتنا أكبر فى التعيين لأنهم سيطلبون عمالة لتشغيل هذا الفرع، ذهبت غير مقتنع إلى إدارة المركز الرئيسي بالجامعة أخذا بالأسباب، تقدمت بالملف وعدت أدراجي إلى البيت غير عابئ بما فعلت، تعين هو نظرا لعمله سباكا مع المقاول المسؤول عن بناء المركز، وفرصة مقابلة مدير المشروعات وقتها

بمركز غنيم، ليتم تعيينه فنى بالإدارة الهندسية بالفرع الجديد، فكانت وسطته الفرصة التي قابلته بمدير المشروعات.

بدأت القصة عندما حصلت على مبلغ ثلاثة آلاف جنيه، نظير خفية الأرض التي باعها ابن عمى حمدي النجار ضمن أرضه، دون علم باقي الورثة، وأنا واحد منهم، هذه الخفية كانت مروى لأراضينا كلها، لذلك طالبنا المشترى بدفع ثمنها بعد ما أقام بيتا عليها، وإلا سنقاضيه، اضطر دفع ثمنها مرة أخرى لتجنب المشاكل، ثلاثة آلاف جنيه نصيب كل فرد منا، كان مبلغا ضخما فى ذلك الوقت، وضعت المبلغ أمامي ناظرا إليه فى حيرة، ماذا أفعل به، أضعه فى البنك وأحصل على فوائده، أم أحاول أن أعطيه لسمسار سفر وأغادر إلى أي بلد للعمل هناك والحصول على عملة صعبة، راودني هذا الحلم كثيرا، لم أنم ليلتي، ظللت طوال الليل أفكر حتى اهتديت إلى أن أشترى به ذهبا وأشبك به أي فتاة، بعد ما كنت غير راغب فى ذلك، من ناحية، كنت لا أمتلك المال لأخذ خطوة كهذه، وناحية أخرى اكتفيت بالثلاث تجارب حب التي مررت بها، أقدمت على هذه الخطوة لأنى تجاوزت الواحد والعشرين عاما، وفُكت وصاية والدتي عنى، بالتالي أستطيع أن أُكمل مصاريف الزواج جراء بيع قطعة أرض من نصيبي فى الميراث، قرارا ليس بدافع الحب، لكنه بدافع الاستقرار والخروج من الوحدة، خطوة أوجدها المال، لم يطل انتظاري عندما وجدت النية، وجدتها فى أقل من يومين، أصابني القدر بها، كانت تتسوق عند مرورى صدفه، دخلت السكينة فى قلبي عند رؤيتها، عيناها تشعرك باحتواء غريب، قصيده

كنت أبحث عنها فى ذاتي، كانت هي البنت القصيدة، التي ستفتح أبواب عزلتي وتحتل عرشها، بعد ما تصيبني بوابل من القصائد، فتتزف روحي عشقا، ما هذا السحر العجيب الذى أيقظ مارد المشاعر بداخلي من أول نظره، تساءلت: «وتجارب حبى السابقة ألم تستطع إيقاظه»، اهتديت فى النهاية، إنه القدر، الذى يحركنا بخيوط كعرائس المار يونت، حينها أوقفني صديق لي لم أره منذ أيام الإعدادية، عانقني بسلامه الحار، وما هي إلا لحظات واختفت عن ناظري، كدت ألعن هذا الصديق وربما صفعته، تعلقت بملامحها، ذهبت إلى السوق فى أوقات متفرقه لعلى أقابلها، لكنها كالزئبق اختفت، وجدت المارد ينتفض بداخلى، تذكرت وقتها كلمات عم نجيب عندما عرضت عليه بكارة أشعاري، أن أكتب لحظات سنى من عواطف ومشاعر تجاه من أحب، تحقق الحلم «سارة»، قلت فيها:

أول مشهد من تكوينك
واقف فيه على باب الحلم
ونفسك تدخل
لجل تلاقى حبيبتك
مستنيه بنفس الضحكة
اللي سابتهالك آخر مره
وماسك كاميرة روحك دايماً
يمكن تطلع بره الحلم
فتلحق تاخد صوره معاها
قبل ما تهرب وسط شوارع قلبك

تانى
وجايز ماتلاقيهاش
فتلاقى العمر بيخطف وقتك
تقنع نفسك ماتكملش
تقرر تلغى بقيت المشهد
لما تلاقى فى حلمك
وجه جديد
لما تلاقى بشاير بنت جديده
بتدخل قلبك أول مره
وخطفت كادر عيونك
من أولها مقابله
فتفتح لها أبوابك
ترسم لها حدوته
بتلعب فيها وترمح جوه كيانك
تخدك من جواك
وتصحّى الليل
علشان يكتب
في عيونها قصيده.

وظيــفه مــيرى:

خصخصت الحكومة الإنترنت عام ١٩٩٧، أصبح متوفرا لدى الجميع، مما ساعد فى انتشاره، بدأت شركات الكاسيت فى الاحتضار، حتى بداية الألفيات بدأت محلات بيع شرائط الكاسيت فى غلق أبوابها وتغيير نشاطها، من بينهم «صلاح محمد» بالمنصورة تحول إلى بيع سيد يهات الأفلام والألبومات، ثم بعد ذلك إلى مفروشات، و«عيد» بالمحلة الذى تحول إلى أدوات منزلية، ومحل آخر كنت أشاهده فى شارع العباسي بالمنصورة متخصص فى النسخ الشعبية، تحول إلى بيع مستلزمات المقاهي، وعم نجيب الذى أغلقه منذ مرضه حتى توفاه اللّٰه، بعد فترة ليست بعيده، وجدت مكانه سوبر ماركت، ربما استأجره أحدهم أو أخذه أحد ورثة عم نجيب، غيروا ملامحه، وضعوا لافتة كبيرة بالنيون مكتوب عليها بالبنط العريض «سوبر ماركت الأمانة»، اختفى معظم مطربو الثمانينيات والتسعينيات، اختفى أيضا صانع البهجة، لكنى ظللت متمسكا بتلك الفترة ولا أسمع غيرهما، كلما استمعت إلى ألبوم أو أغنية، تحيلني إلى الماضي، إلى تفاصيل كأنها تحدث الآن.

في أحد أفراح الأقارب قابلتها، لم يمر سوى شهر واحد على رؤيتها أول مرة فى السوق، اندهشت، رأيتها جالسة على طاولة معارف لنا، حينها سألت والدتي إن كانت تعرفها، دققت النظر إليها جيدا، أخبرتني أنها لم تشاهدها من قبل، طلبت منها معرفة هويتها، ابتسمت مستفسرة.

- وعايز تسأل عليها ليه؟
- يا ستي إسألى وبعدين أقولك

نفذت على الفور رغم استغرابها ، دخلت عليهم بالسلام والقبلات والأحضان حتى جاء دور الفتاة، شاهدتها تتحدث معها والبنت يملأ وجهها احمرار الخجل، أجلستها وجلست بجوارها ، أكملت معها الحديث وهم يتبادلن الابتسامات، كنت منتظرا فى قلق، لم أعد أحتمل فلقد طال حديثهما ، جاءتني والدتي بعد ما فرغ فؤادي، حدثتها معاتبا بلهفة:

- إتأخرتى كدا ليه؟
- على ما عرفت منها كل حاجه
- احكي لى عرفتي إيه؟

قالت وهى تمزح:

- إيدك على الحلاة
- يا أمي قولي بقى؟
- دا إحنا طلعنا جيران

بدهشة غير مصدق:

- بجد؟
- وأبوها أنت تعرفه كويس قوى
- يطلع مين..!!
- عمك على أبو حسن
- اللي بيصلح الساعات

- أيوه واسمها سارة.

أخبرتني والدتي بباقي التفاصيل، وأنها ليست البنت الوحيدة لديه، عنده غيرها ثلاث أخريات وولد وحيد، لم ترتبط بعد، فرحت جدا بذلك، أخبرت أمي أننى أود خطبتها، ملأ وجهها البهجة، على الفور أخبرت إحدى الجارات لمعرفتها الجيدة بهم تدعى «عطيات» لتحدد معهم موعدا، أخبرتنا الست عطيات أنهم ليس لديهم أي مانع، وأبلغتنا بيوم الخميس القادم، ترددت فى إبلاغها تأجيل الموعد، حتى انصرفت الست عطيات وأنا فى حيرة، فيوم الأربعاء لدى بطولة فى لعبة الكاراتيه بإستاد المنصورة الرياضي، كنت قد أعددت لها منذ فترة، بطولة الجمهورية فى الكوميتيه «القتال»، خفت أن أذهب وعلى وجهى جروح وكدمات، سيظنون أنى تعاركت مع أحد، وأننى صاحب مشاكل، سيكون هذا هو انطباعهم، حدثت أصدقائي فى التمرين بعدم مشاركتي فى البطولة، أخبروني أننى بذلت مجهودا كبيرا فى التمرينات استعدادا لذلك اليوم، ولا يجب أن أضيع مجهودي بهذه السهولة، ازدادت حيرتي حتى قررت بداخلي أن أشارك متفاديا قدر استطاعتي الهجمات التي من الممكن أن تؤدى إلى إصابات.

في إستاد المنصورة، الصالة المغطاة، كان اللاعبون مُنتشرين أمام غرفة تغيير الملابس حاملين حقائبهم، بعد لحظات فُتح الباب، خرج رجل مُرتدياً ترنج يبدو من جسمه أنه رياضي، يحث اللاعبين أمام الغرفة على النظام، يشير بيده للاصطفاف، بدأ اللاعبون التجمع فى صف منتظم حيث أشار، أمام الميزان بعد ما

تجردنا من ملابسنا، بجواره رجل ممسك بأوراق يسجل بها اللاعبين وأوزانهم، الرجل الرياضي على الباب يُدخل اللاعبين واحداً تلو الآخر، كل لاعب يقف على الميزان والرجل يُسجل فى الأوراق .

ارتدينا بدل الكاراتيه بعد الانتهاء من الأوزان، خرجنا فى الصالة للإحماء، المدرجات ممتلئة بالمشجعين، أحد العاملين ينظف الأرضية بإحدى المساحات الضخمة، عامل آخر بعربة جرد يجرد وراءه، الصالة مقسمه لقسمين، بساط هنا وآخر هناك، عاملون يضعون منضدة للحكام وخمسة كراسي حول كل بُساط لحكام الأعلام، بعض اللاعبين القادمين لتوهم بدأوا الانتشار فى الصالة، النوادي توقف لاعبيها بشكل استعراضي بزي عليه شعار النادي، طبيب يدخل حاملاً شنطة إسعافات، خلفه رجلان يحملان نقاله متجهين نحو منضدة الحكام ليستقروا هناك.. لاعبون يضعون أيديهم فوق الحزام، يقومون بالوثب بحركة منتظمة ليحفزوا أنفسهم مُطلقون صيحة: "هوب.. هوب"، الحكام كل فى مكانه بزيهم الرسمي، عليه شعار الاتحاد المصري للكاراتيه.

صوت يأتي من المذياع:

«برجاء الهدوء والانتظام

سنبدأ البطولة بالكاتا الفردي».

لاعب على البساط الأول يؤدى الكاتا بقوه وحماس، وآخر على البساط الآخر يؤدى بحماس أيضا، كنا نتابع فى انتظار دورنا.

المذياع:

«ستبدأ الآن الكاتا الجماعي

نرجو من الساده الحضور الهدوء».

كل بساط صعد عليه ثلاثة لاعبين، بدأوا استعراضهم الرائع كرقصة الباليه، برشاقة وانسيابية، بعد انتهاء الاستعراض نفذوا الكاتا بوضع الهجوم للشرح، الجمهور يشاهد باستمتاع، أنا وزملائي فى زاوية من الصالة نتدرب على بعض الحركات الهجومية والدفاعية، منتظرين بطولة الكوميتيه تحت وزن خمسة وسبعين كيلو جراما.

لم يكن الكابتن مدحت متحمسا لمشاركتنا، لقلة إمكانيتنا المادية فى مركز الشباب، ولعدم تأهلنا لهذه البطولة، لذلك لم يحضر معنا، اجتهدنا وحدنا، قمنا بالتدريب والاطلاع على بطولات أخرى، وكيف نحصل على نقاط دون إنذار، تقدمنا فى البطولة منفردين، لا يدعمنا نادى أو مركز شباب.

البساط يظهر عليه المتنافسون على المركز الأول والثاني، اللاعبون يبدأون فى شرح الكاتا التي يؤدونها، بعد انتهائهم ينتظرون على حدود البساط لإعلان الفائز، فرقة منهم تقفز من السعادة محتضنين بعضهم، بينما تنسحب الفرقة الأخرى بخطوة رياضية.

يُعلن فى المذياع:

استراحة قصيره ونُكمل آخر مراحل البطولة «الكوميتيه» بدأت فى عملية الإحماء أنا وزملائي استعدادا للمواجهة، أخبرني المنسق من خلال جدول الأسماء بيديه، أن أول منافس لي لم يحضر، بالتالي سيعلن فوزى فى الجولة الأولى «ما تش باي)،

انتظرت أحد الفائزين فى جولته الأولى، متأملا ومتفحصا أسلوب اللاعبين لأتعلم منها، خسر زملائي جميعا بداية جولتهم، جاء دوري فى الجولة الثانية مع لاعب من نادى ضباط الشرطة، كنت قد راقبت أسلوبه فهو ماهر بضربات القدم، للتغلب عليه يجب أن أكون قريبا منه قدر المستطاع، لشل حركة ساقه الطويلة، بدأت المباراة بقول كلمة البدء «ياميه» بعد ما أدينا برتوكول اللعبة وهى التحية «أوس»، اندفعت بالهجوم بضربات اليد السريعة نحو الوجه، أخذ المنافس يدافع بصد الهجمات منسحبا للخلف حتى تجاوز خط البساط، حصل على إنذار، ازداد غضبه، حاول إبعادي ليتصيدني بقدمه، إلا أننى راوغت بالهروب يمينا ويسارا، هجمت عليه ثانية باللكمات بطريقة «كزامي كياجى» لكمة باليسار فى الوجه ولكمة باليمين فى البطن، انسحب مرة أخرى من سرعة وقوة الضربات حتى حصل على إنذار آخر لتجاوزه حدود البساط، فاجأني بمد قدمه لسحب قدمي ليختل توازني بطريقة «إشبراي»، تمالكت نفسى سريعا، وجدت لكمات تقابل الإشبراى تصديت لها بصعوبة، رددت عليه بنفس الأسلوب مع تطويره بضربات متلاحقة بالقدم واليد، لمعت عينه وهو يتصدى مندهشا من السرعة حتى وجدني توقفت تماما عندما تذكرت مقابلتي مع والد سارة، وخوفي من الإصابة، لاحظ شرودي وفى لحظة استطاع أن يأخذ مساحة ويركلني بخلفية قدمه فى رأسي بطريقة «أورا مواشى» ليحصل على ثلاث نقاط، تنتهى الثلاث دقائق بإعلان فوزه، بعد المباراة جاءني المنافس، أعطاني تحية الكاراتيه، ابتسم فى وجهى سائلا:

- ممكن أعرف وقفت ليه؟
- سرحت.
- كان فى إمكانك تكسب.
- نصيب.

ابتسم مرة أخرى قائلا:

- ممكن أطلب منك طلب.
- أتفضل.
- تتابعني الماتش اللي جاي.

تابعته وهو يفوز من جولة إلى أخرى حتى صعد للدور قبل النهائي، المنافس من نادى الشمس، شاهدت طريقته البارعة فى اصطياد خصمه، حذرته بعدم الهجوم أولا، لكنه انشغل بالنظر لتوجيهاتي من خارج البساط، استغل ذلك خصمه وهزمه، فى النهاية شكرني واندهش لعلمه أننى أتدرب فى مركز شباب، ظن أنى أتبع لنادى كبير كالنادي الأهلي أو الزمالك أو سموحة بالإسكندرية لذكائي وحرفيتي فى اللعب، لكنه النصيب.

أثناء عودتي كنت سعيدا لعدم إصابتي، وقتها تذكرت أحد الأصدقاء فى مجال الأدب، عندما ألقيت قصيدة استخدمت فيها مفردات الكاراتيه التي تحمل اللغة اليابانية، سألنى:

- ألا ترى تناقضا بين الشعر والكاراتيه.. بين المشاعر المرهفة والعنف؟

ابتسمت.. لأن سؤاله كان خارج حدود القصيدة، لكنى جاوبته إنها تعتمد اعتمادا كليا على العقل، وأنها لعبة فنيه فى المقام الأول.

كاتا أولى هيان شودان
بتحبى لسه فى التحية
والجدان براي
اللعبة خلصت
وأنت بادئ باليمين
مش بالشمال.

كانت تلك الكلمات هي من استفزت صديقي لهذا السؤال.

دون إصابات، أستطيع مقابلة والد سارة باطمئنان وسعادة، رغم أننى انتظرت هذه البطولة وتعبت فى الاستعداد لها، لكنى فضلت انطباع سارة الأول عنى.

قابلنا والدها بترحاب شديد، بحكم معرفته بي وبوالدتي منذ كانت تأخذني لتصليح ساعتي التي جلبها لي خالي من دولة الإمارات، استشعرت القبول من تلك المقابلة، أطلعته على كل التفاصيل التي تخصني وتخص مستقبل بنته، ميراثي وفك الوصاية وامتلاكي شقة فى بيت العائلة، إلا أن هذا لم يشغل حيز تفكيره وبادرني بالسؤال.

- كل ده مش مهم عندي.. المهم أنت بتشتغل إيه.
- عندي محل فى البيت فاتحه مكتبة.

قولتها وانتظرت لحظات رده، حتى جاوبني.

- على خيرة الله.

حددنا موعد الزواج بعد تخرجها من الثانوية الفنية، كنت أكبرها بتسع سنوات، علمت ذلك عندما تقدمت لها، لم يشغلني فارق السن قدر تعلقي بها وارتياحي إليها.

بعد خطبتي بأسبوع جاءني خطاب بعلم الوصول، يحثني على ضرورة الذهاب لمركز الكلى جامعة المنصورة لاستكمال باقي أوراق التعين، أخذت الخطاب والسعادة تملؤني، محدثا نفسى «معقوله ها توظف بدون واسطه!!»، ذهبت به للإدارة مستفسرا، قابلني شخص يدعى الأستاذ جبر بشئون العاملين، عندما اطلع على الخطاب، أخبرني أنهم استعجلوا فى إرساله، وأنهم ليسوا بحاجة إلى عمالة الآن، ويجب علي الانتظار حتى يطلبوا، انطفأت سعادتي، رجعت خالي الوفاض، اتصل بي على الأرضي والد سارة ليطمئن بعد رجوعي، أخبرته بما حدث، علم أنه دون واسطه لن يتم تعييني، وسيتم تكليف شخص آخر قريب من أحد الأعيان، استخدم عم على معارفه وأصدقائه بحكم إدارته لمحطة مياه القرية، وخدمة بعضهم فى إدخال عدادات المياه، بعدها بشهر تقريبا جاءني خطاب آخر للذهاب واستكمال باقي الأوراق، ذهبت للأستاذ جبر الذى كان سمجا معي وهو يحدثني بأنه لا توجد وظيفه شاغرة غير عامل نظافة بالشارع، أخبرته أنى فنى كهرباء وأريد العمل بشهادة تخرجي، حينها ضحك وقال باستهزاء:

- هو فيه حد بيشتغل بشهادته

ثم أكمل:

- والله هيه دي الوظيفة اللي قدامى عجبك نكمل باقي الورق ماشي مش عجبك يبقى استني.

خرجت من عنده يائسا، اتصلت من كابينة مينا تيل أمام المركز بعم على، أخبرني أن أنتظر حتى يجرى تليفونا، بعدها

بدقائق كلمته، أمرني بالرجوع حتى يتدبر الأمر، وجدت نفسى بعدها أخرج همومي فى قصائد قصيرة متتاليه.

خرجت هكذا :

نفس الهموم ...
الواحده حيز من حياتك
والآهات
مبدوره جوا عنيك براح
رغم إن تقاطيعك بسيطة
بس غاوى ترغى دايماً ويا حزنك
بالسكات.

وشك المهموم
بيبص عليك من قلب مراية
تسبسب له الحكايات
وتضحك فيه
مع إنك دايق
نفس الهم.

عشمت موتك بالحياة
والخوف بيدبح
كل لحظه من الأمل
بتتولد جواك
ارضى بمصيرك وابتسم

دا الوهم مش دواك
علشان من ريق مواجعك
ترتوى..
بآخر نفس.

الحياه..
مش حاله طايشه
دي الحياه بنوته عايشه
لو تداعب قلبها
ها تبتسم لك
وان قسيت عليها نوبه
راح تكشر لك ف وشك
هي دي الحياه
طبيعتها مش ها تغشك.

سيبنى أمارس زي العادة
طقوسي الخاصة
القهوة البلدي
وشرب الشاي والشيشة
وهبدت رجلي
في خد الشارع
زي بقيت الخلق الفايره
من الفناجين الساده
ماترغمنيش.. اشربها زياده.

استطاع عم على بعد فترة من اتصالاته، أن يجد واسطه من خلال أحد أقاربه، أرسلوا لي للمرة الثالثة، قابلني الأستاذ جبر بابتسامته المعهودة، أخبرني أنهم سيختبرونني الآن ويجب أن أستعد، اندهشت لهذه السرعة، حاولت الاتصال بعم على لإبلاغه لكى يتصرف، لم يكن لدى الوقت الكافي لإخباره، أخذني الأستاذ جبر للطابق السفلى بالبدروم أمام غرفة على بابها لافته مكتوب عليها «رئيس الإدارة الهندسية»، أسرعت دقات قلبي، امتلأ رأسي بالأفكار، ربما أرادوا مباغتتي لأجد نفسى أمام الأمر الواقع ويستغلوا ارتباكي فى اجتياز الاختبار، تبخرت الأفكار كلها عندما فتح الباب، إذ برجل فى الخمسينيات يقابلني بابتسامة هدأت نبضات قلبي قليلا، شكر الأستاذ جبر ثم أمرني بالدخول، كان هناك رجل آخر جالسا، منهمكا فى قراءة ملفات بيده، لم يعرنا اهتماما، أجلسني الرجل ثم عرفني بنفسه:

- أنا المهندس محمود الرديني رئيس قطاع الكهرباء.

ثم أشار للرجل الجالس:

- وده المهندس ماهر مشرقي رئيس الإدارة الهندسية.

لم يلتفت المهندس ماهر إلينا، بعدها أحضر المهندس محمود ورقة وقلما وبدأ يسألني عن بعض التوصيلات البسيط وشرحها بالرسم، برغم مرور سنوات على تخرجي، إلا أننى لا زلت متذكرا لهذه التوصيلات، شرحت على الورق قدر استطاعتي، ابتسم المهندس محمود وهو يتابعني ثم قال:

ـ لو ما كنتش متابعك كان الرسم توهني.. لكن برافو عليك.

هـدأ قلقـي لهـذه الكلمـة، خصوصـا عنـدما شـرح لـي كيفيـة العمـل، شـعرت أننـى اسـتلمت الوظيفـة بالفعـل، حينهـا انـتفض المهندس ماهر من جلسته بغضب قائلا:

- إيه الأسئلة الهايفه دي يا محمود؟

جلس فى مواجهتي سائلا:

- تعرف إيه عن لف الطلمبات والجهد العالي؟

بـدأت فـى إجابتـه والمهنـدس محمـود منبهـر وسـعيد بمعلومـاتي، حينها قال:

- ما الراجل زي الفل أهو يا ماهر.

اغتاظ المهندس ماهر وقتها صارخا فى وجهى:

- ده مش معناه إنك إتوظفت ده مجرد اختبـار عـادى عملنـاه مـع ناس كتير ما إتوظفوش.

وقتها طرق الباب، قام المهندس ماهر بفتحه ليصرخ مهللا:

- مش معقول القائد بنفسه، يدخل الرجل مرحبـا وخلفـه اثنـان وكـأنهما يحرضانه، نظر إلى مبتسما قائلا لهم:

- هوه ده؟

رد المهندس محمود:

- بسم الله ما شاء الله مش محتاج واسطه.

اطمئن الرجل، طلبوا منه الجلوس، أخبرهم أن ليس لديه وقت ويجب الاهتمام بأمري جيدا

رد المهندس ماهر فى سرور:

- ده فى عنينا.

بعد انصراف الرجل سألني المهندس ماهر عن مدى علاقتي برئيس الإدارات الهندسية بالجامعة، أخبرته أننى لا أعرفه وهذه هي المرة الأولى التي أراه فيها، حينها قال:

ـ مش مهم اطلع الإدارة دلوقتى واستلم منهم كارته الدخول والانصراف وخلى رئيس الشئون الإدارية الأستاذ محسن شبانة يمضي لك فى خانة الدخول بتاريخ النها رده ١٣ ـ ٩ ـ ٢٠٠٣

ثم نظر فى ساعته مكملا..

- الساعة ١٠ صباحا وتيجي هنا تانى عشان أقول لك ها تستلم فين.

لم تسعني الدنيا فرحا، عملت فنى كهرباء بالورشة، ذهبت فى المساء إلى عم على الذى كان منتظرا وصولي، أبلغته بما حدث تفصيلا، نادى على سارة ليبلغها بهذا الخبر السعيد، فرحت وقالت مداعبه:

- شوفت وشى حلو عليك إزاي.

من شدة فرحتي بالوظيفة وبها، ارتجلت قصيده أسمعتها إيها وأنا أنظر فى عينيها.

زغاريد عماله بترقص وسط البيت
على طبل حريم الحته
فتعزف بسمة بنت عروسه
بأنها رايده الواد
وتاخدها عنيه

جوا الحواديت الدايبه فى قلبه
وبعد ما بتحُط الشربات
على طرف شفايف حلمه
يمد عينيه لعينها
ويقرا الفاتحة.
فوارت وجهها خجلا.

أبناؤه الذى لم يلدهم:

عدت من تلك الندوة بمكسب كبير، رجل محلاوي يتجاوز الستين عاما، يجلس واضعا رأسه بنصف انحناءة فوق يديه التي تحملهما عصاته المتكئ عليها دائما، مستمعا للنصوص الأدبية وأحيانا يطلب النص من صاحبه إن كان مكتوبا، تاركا فرصته فى التعليق للنهاية، يعطى لنفسه الفرصة للقراءة، يخرج نظارته ببطيء من فتحة داخلية لسترته، يعلق سلسلتها برقبته، يدقق النظر فيما بين يديه، ثم يرفع يديه طالبا التعليق من مدير الندوة، يبدأ بالثناء على صاحب العمل فى البداية بعد ما يخفض نظارته قليلا، ينظر من خلفها كثعلب ماكر مبتسما بهدوء عند قوله "ولكن" وعلى نفس وتيرة الفصاحة التي ينطق بها لسانه يكمل.

- النص به خلل عروضي عند موضع كذا وكذا.

ويشير إلى بعض الأبيات.

بعد انتهاء الندوة تتبعنا بعكازه أثناء خروجنا من قصر الثقافة للعودة إلى ديارنا، وأثناء تخللنا للسيارات المارة لعبور الرصيف الآخر فوجئنا بصوت ضعيف ينادى:

- يا مصري.. يا شربي.. يا نجار؟

التفتنا نحن الثلاثة للصوت لنجده خلفنا يلهث للحاق بنا، نظرنا لبعضنا باندهاش عند رؤيته، ناطقين اسمه فى نفس واحد.

- الأستاذ محمد نشأت الشريف

رد بعد ما التقط أنفاسه:

- ممكن آخد من وقتكم دقيقتين؟

أخذنا لأكثر الأماكن اشتهارا ولقربها من قصر الثقافة، وهى مطاعم البغل الكبرى، لم يتحدث فى شيء حتى أكلنا، اصطحبنا إلى مقهى بجوار المطعم، حدثنا أنه رأى فينا براءة وطيبة أبناء القرية، ووحدتنا وتمسكنا ببعضنا البعض، مما شجعه، على اتخاذ هذا القرار، أن يخوض بنا انتخابات مجلس إدارة نادى الأدب القادمة قريبا، رفضنا لعدم جلب صراعات نحن فى غنى عنها إلا أنه أصر بشدة، أخبرنا أنه خطط لكل شيء وفرصة فوزنا مضمونه مئة بالمئة، وأنه لم يجد أحدا يضع ثقته فيه غيرنا، بعد تشاور دام بيننا نحن الثلاثة بين مؤيد ومعارض، وافقنا فى النهاية.

في الندوة التالية، أخبرنا أن أمامه عائقا كبيرا.. منافس قوى سترجح كفته أمامي، هو الشاعر والناقد «أحمد إبراهيم عيد»، سيفوز أولا لصغر سنى، وثانيا لعدم معرفة أعضاء الجمعية العمومية بي لحداثة عضويتي، وأكثرهم لا يواظب على حضور الندوات، لا يراهم أحد إلا وقت الانتخابات بعد إلحاح شديد من بعض المرشحين ليحصلوا على أصواتهم، مما يعنى أن أصواتهم ستذهب للأستاذ أحمد، طلبت من الأستاذ نشأت استثنائي وإعفائي من هذا الحرج.

رفض بغضب قائلا:

- أنا عرفتكوا انتوا التلاته وهاكمل معاكوا إنتوا التلاته.

مر الأستاذ نشأت بأعضاء الجمعية العمومية فردا فردا، ومنهم من لم يستطيع الوصول إليه حدثه تلفونيا، استطاع أن يحصل من

البعض على وعد ليعطوني صوتهم، والبعض الآخر اعتذر لأنهم واعدوا من قبل الأستاذ أحمد عيد بانتخابه، جمع الأستاذ نشأت الأصوات، وجد أن هناك فارق صوت بيني وبين الأستاذ أحمد، ظل يفكر بمكر ودهاء حتى وصل إلى أن يبطله، ذهب إليه وعقد معه اتفاقا باسم الصداقة التي بينهم، أنه لو لم يعطني صوته فلا يعطه للأستاذ أحمد أيضا، وتحت الضغط والإحراج وافق الرجل وتحجج وقتها بمرضه، اكتشفنا أيضا فى اللحظات الأخيرة، أنه استطاع إقناع أحد الأصوات المؤيدة للأستاذ أحمد بعدم المجيء وأخذ منه عهدا بكتاب الله على ذلك.

نجحت بفارق صوت واحد، أصبح الأستاذ نشأت رئيسا لنادى الأدب، هنئه وهنئنا الجميع بما فيهم الأستاذ أحمد الذى تقبل الهزيمة بروح رياضية، أصبح الأستاذ نشأت لي بمثابة عم نجيب رحمة الله عليه.

لم ننشغل بالصراعات الدائرة داخل نوادي الأدب، لكن الأستاذ نشأت كان بارعا فيها، يكشف جميع الحيل أمامنا، كنا نستمع لآرائه ويستمع لآرائنا، أصبحنا أبناءه الذين لم يلدهم.

أعطاني رقم هاتفه:

تزوجت ساره فى شهر يونيو ٢٠٠٤، بعد زواجنا بأيام قليلة اتصل بي الإعلامي هشام محمود لأسجل معه حلقه فى برنامجه الإذاعي «الثقافة للجميع» بإذاعة وسط الدلتا، رشحني أحد الأصدقاء نظرا لفوزي بالمسابقة المركزية وصدور ديوانين لي، بخلاف القصائد العديدة التي نشرتها فى مجلة أخبار الأدب التي كان يرأس مجلس إدارتها الأديب جمال الغيطانى فى ذلك الوقت.

بعد هذا اللقاء مرت الأحداث دون جديد، حتى قرأت فى جريدة القاهرة «الصفحة الأدبية» التي يرأس مجلس إدارتها الكاتب والصحفي صلاح عيسى، خبر فوزى بالمركز الأول بديوان شعر العامية «بنت بتسرق روحك» فى المسابقة الأدبية المركزية بالهيئة العامة لقصور الثقافة، عام ٢٠٠٦، كنت وقتها أتابع المجلات والصحف الأدبية من باب التعرف على إبداعات الآخرين من جهة، وجهة أخرى متابعة نتيجة المسابقة، أخبرت أصدقائي السعيد المصري، ومحمد عبد الخالق شربي اللذين حضرا معي احتفالية تسليم الجوائز بالمعهد العالي للموسيقى بحضور رئيس الهيئة الدكتور أحمد نوار، أخبرني السعيد أنه أحضر معه طلبا لرئيس الهيئة يحثه فيه على تعيينه بالهيئة، بناء على لائحتها الداخلية التي توصى بتعيين من فاز بالمركزية مرتين أو أكثر، وهذا الشرط متوفر لدى السعيد ولدى، لذلك طلب منى السعيد أن أتقدم بطلب لي ونستغل وجود رئيس الهيئة عند وصوله للاحتفالية، قلبت الموضوع برأسي، تذكرت العناء الذى عانيته فى حصولي على

التعيين بمركز الكلى، فأنا الآن أملك وظيفة ميري قريبه من مسكني، فما الداعي للمجازفة للعمل بالهيئة فى القاهرة خصوصا وأن الطلب ممكن أن يرفضه رئيس الهيئة لوجود عمالة زائدة، أو أن يهمل الطلب، أو أن يقابلني شخص فى شئون العاملين مثل الأستاذ جبر يعطل المراكب السائرة، قولت لنفسي «عصفور فى اليد خير من ألف على الشجرة»، رفضت أو بمعنى أصح تكاسلت، لم أستوعب وقتها أن هذه الوظيفة هي الأقرب إلى روحي كشاعر، حيث إنها ستبقيني داخل المشهد الأدبي، لكن لا يسعني إلا أن أقول: «قدر الله وما شاء فعل».

أعطتني هذه الجائزة ثقة أكثر فيما أكتب، بدأت من وقتها حضوري المكثف للندوات وخصوصا بالقاهرة، وبرغم ظروف عملي التي تجبرني على الذهاب والعودة فى نفس اليوم، إلا أننى كنت أجد لذة ومتعة فى ذلك، من ضمن الندوات التي كنت أواظب على حضورها، ندوة اتحاد الكتاب وتعرفت من خلالها على الشاعر الكبير فؤاد حجاج الذى تبنى موهبتي وأصبح يقدمني بشكل جيد لألقى قصيدة على الحضور، هذا بخلاف كتاباته عنى وعن تجربتي الإبداعية فى جريدة العمال التي كان يرأس تحريرها، أيضا كنت أواظب على ندوة الدكتور علاء الأسوانى الخميس من كل أسبوع بمقر حزب الكرامة بشارع أمين سامى بجاردن سيتي، تعرفت على الدكتور علاء بمعرض الكتاب، أثناء حفل توقيعه لروايته الجديدة شيكاغو، وهذه هي الرواية الثانية بعد عمارة يعقوبيان التي حققت نجاحا ساحقا وتحولت إلى فيلم سينمائي يحمل نفس العنوان بطولة «عادل إمام،

ونور الشريف»، وكوكبة من ألمع النجوم وقتها، لم أطمع فى مقابلته ولا فى شراء روايته، دخلت جناح دار النشر متسكعا متفحصا إصداراتها كباقي دور النشر داخل المعرض، وجدته يضع توقيعه على كل نسخه يقوم بشرائها أحد المعجبين أو المهتمين بالأدب والقراءة، أخرجت من حقيبتي التي أحملها دائما معي فى كل الندوات نسخة من ديواني الأول «مقتول بيحاول يصحى» وديواني الثاني «عرض القصيدة هيبتدى»، كتبت عليهم إهداء باسمه وبجواره رقم الموبايل التي جلبته لي والدتي من السعودية بعد تأدية فريضة الحج، فرح جدا وابتسم فى وجهى، أدخل يده فى جيبه، أخرج كارتا عليه اسمه وأرقام تليفوناته مكتوبا باللغة الإنجليزية، شكرني وأخبرني أنه سيقرأهما جيدا وسيتصل بي ليعطيني رأيه، ابتسمت له أنا الآخر ولم يعرني كلامه اهتماما، فكيف لرجل أصبح محط الأنظار من الصحافة والإعلام بل والعالم حيث ترجمت روايته إلى لغات عديدة أن ينظر أو يهتم لشاعر مغمور مثلى.

بعد أسبوع من هذا الحدث، وجدت اتصالا يحمل ٠١٢ الخاص بشركة «موبينيل»، فتحت الخط.

- ألو.. الأستاذ محمد على النجار؟
- أيوه يا فندم.. مين معايا.
- معاك علاء الأسوانى.
- إزيك يا دكتور أهلا وسهلا.
- أنا قرأت الديوانين وعجبوني جدا.

- ده شيء أسعدني جدا يا دكتور.
- إحنا بنعمل ندوة كل خميس بحزب الكرامة فى شارع أمين سامى ياريت لو تشرفنا ونتمنى نناقش دواوينك.. ياريت تجيب كام نسخه معاك.

بسعادة بالغه أخبرته بضرورة الحضور واصطحابي للنسخ بإذن الله.

كعادتي حضرت قبل الموعد بربع ساعه تقريبا، وجدت أناسا جالسين يتحدثون فى أمور أدبية على هامش الندوة فى انتظار الدكتور علاء، كنت قد علمت من وسائل الإعلام أنه يمارس طب الأسنان فى أمريكا، لذلك يلقبونه بالدكتور، ألقيت عليم السلام، وجلست خلف الجالسين حول منضدة مستطيلة، بدا على ملامحي الإحراج والقلق وهم يتابعونني بنظراتهم، فأنا أبدوا لهم وجها جديدا، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أننى كنت أصغرهم سننا، حيث كان أصغرهم فى مقتبل الخمسينيات هكذا كان تقديري، تشجع أحدهم بسؤالي ملتفتا خلفه:

- ممكن نتعرف بيك.

لم أنس طريقة سؤاله، حتى هيئته، كان نحيفا، عيناه بارزتان وله شارب كثيف، هؤلاء أبرز ما فى ملامحه الضئيلة التي تحمل تجاعيد طفيفة، مرتديا جاكيت جلد لونه بنى فاتح، وبنطلون جينز أزرق كهيئة شاب فى العشرينيات، لاحظت بجواره امرأة اهتمت جدا لسؤاله، أخبرتهم باسمي وسبب حضوري ثم أخرجت من حقيبتي نسخا من ديواني الثاني فقط لنفاذ نسخ ديواني الأول لعددها الضئيل، أخذ كل واحد نسخته وبدأوا تفحصها فى

عجالة، التفت لي الرجل ذو الجاكيت البنى بعدما همس فى أذن المرأة التي بجواره وهو يشير إلى قصيدة بالديوان، حدثني مشجعا:

- أنت شاعر متميز.

ابتسمت له على مجاملته، الكل ينظر فى ساعته لتأخر الدكتور علاء، حتى هم الرجل بالانصراف مصطحبا معه المرأة، أثناء خروجه وضع يده على كتفي هامسا فى أذني:

- تعالى عشان عايزك.

أخذني جانبا وأعطاني رقم هاتفه، وضرورة الاتصال به، ظن الرجل أنى أعرفه لعدم سؤالي بمعرفته، وكانت هذه مشكلة كبيرة عندي هو خجلي الزائد الذى يفسره البعض بالتعالي والكبرياء، سجلت الرقم وانصرف الرجل هو والمرأة، احترت بعدها فى تسجيله باسم من، ظللت ألعن خجلي حتى تشجعت وسألت من بجواري عنه وعن المرأة، ابتسم بسخريه قائلا:

- فيه حد فى الوسط الأدبي ما يعرفهمش.

شعر الرجل بإحراجي واحمرار وجهى، بادرني بالإجابة موضحا:

- ده يا سيدى الدكتور عزازي على عزازي.. دكتوراه فى الأدب والنقد واللي معاه دي الشاعرة الكبيرة شيرين العدوى.

شعرت وقتها بحماقتي وتصرفي غير اللائق مع الرجل، قلت لنفسي «زمان الراجل فاكرني متكبر عليه»، خرجت على الفور باحثا عنه فلم أجده، اتصلت به واعتذرت له لعدم معرفتي بحجم شخصه، سمعت صوت ابتسامته وهو يقول بتواضع:

- ولا يهمك وياريت تحاول ضروري تقابلني فى جريدة الكرامة بشارع مصدق فى الدقي.

رحبت على الفور، أغلقت الخط وأنا فى قمة السعادة والسرور.

في تلك السنه عاد صانع البهجة بألبوم جديد «روح السمارة» بعد غياب دام ست سنوات بعد ألبوم «غزالي» سنة ٢٠٠٠، كانت سنة فارقة فى مشوار حميد حيث وصلت موسيقاه للعالمية عن طريق توزيعه لأغنية نور العين للمطرب عمرو دياب والتي حصلت على جائزة ميوزك وورد العالمية.

أتذكر سنة ١٩٩٨ أثناء جلوسي مع صديقي أحمد حافظ على مقهى والده، وقبل انطلاق القمر الصناعي، شاهدت على القناة الأولى الرسمية أغنية الحلم العربي، وكان ومازال عندما تنتهك دولنا العربية، لم تكن لدينا حيلة غير أن نشجب أو نعترض أو نرد بعمل فنى فى الغالب يمنع عرضه، لكنى فوجئت بهذا الأوبريت الرائع الذى ألفه الدكتور مدحت العدل ولحنه صلاح الشرنوبى وحلمى بكر، وكانت المفاجئة الأكبر هي احتضان حلمى بكر لصانع البهجة الذى وزع الأوبريت، بعد حرب طويلة شنها الملحن الكبير ضد حميد لينتهي الخلاف بينهم للأبد، العمل من إنتاج أحمد العريان وإخراج طارق العريان، وضم مطربين من مختلف الدول العربية، وجاء الإخراج مصاحبا لمشاهد انتهاكات حقيقيه فجرت نزيفا هائلا بداخل من شاهدها، ووجود حميد بجوار حلمى بكر يثبت صواب تجربته وانتصاره فى النهاية.

لم يغب عن بالى قط، جملة قالها لي الدكتور عزازي عندما أعجبه نص من نصوصي، قابلته بعدها فى جريدة الأسبوع وكان

مقرها خلف دار القضاء العالي، طلب منى أن يستمع إلى آخر ما كتبت، أخبرته أننى لم أكتب شيئا جديدا، وطلبت أن أسمعه النص الذى أعجبه إن أراد أن يسمع شعرا، فاجأني بمقولته: «ما أعجبني بالأمس ليس بالضرورة أن يعجبني اليوم»، تشجعت وطلبت منه أن يحضر إلى المحلة لمناقشة ديواني «عرض القصيدة هايبتدى»، ابتسم ساخرا وقال:

- إيه فايدة إني أناقش ديوان أتطبع خلاص.

نظرت خجلا بعدم الفهم.

أكمل حديثه:

- الصح إنك تناقش ديوان مخطوط عشان تقدر تتدارك أخطاءه قبل الطباعة.

شعرت بحرارة جسدي برغم أننا فى فصل الشتاء من شدة الإحراج وعدم مجاراته فى الحديث.

بادرني قائلا:

- عندك ديوان مخطوط؟
- عندي ديوان فائز بالمركزية السنه دي.
- عظيم ياريت تجيب لي نسخه منه.

لحسن حظى كنت أحتفظ بنسخه منه فى حقيبتي أعطيته إياها.

ابتسم مداعبا:

- على فكرة يا محمد أنا بقالي سنين طويلة ما نزلتش المحلة وهانزلها علشانك مخصوص.

البغـــــل:

نظـرا لانشـغال الـدكتور عـزازي علـى عـزازي حـدد هـو الموعـد لمناقشـة ديـواني، واشـترط شـرطا ، أن أصـحبه مـن القـاهرة إلى المحلة، وافقت على الفـور رغـم عوائق كثيره منهـا، أن الـدكتور عـزازي لا يمتلـك سـيارة وواجـب علـي تـأجير سيارة لـه فـى مجيئـه وانصـرافه، هـذا بخـلاف كـرم الضـيافة، لم أسـتطع مصـارحته بضائقتي المالية فى هذا التوقيـت، ربمـا لـو اعتـذرت عـن الموعـد لم أجد فرصه أخرى، نظر فى عيني التي بدا منها قلقي، كأنه سمع حوارى الداخلي عندما أجبته أننى سأستأجر سيارة خاصة لأخذه، ابتسم قائلا:

- ها نركب موصلات.

اندهشت لقوله، بادرني بالحديث:

- بأحب اختلط بالناس.

شعرت بإحراج شديد لكنى فرحت بداخلي، فهذه عقبه أزيحت من طريقي.

ذهبت باكرا فى يوم المناقشة إلى مقر جريدة الكرامة بالدقى، كان الدكتور عزازي منهمك فـى العمـل، أمرنـي بـالجلوس حتـى انتهاءه، ظللت معه حتى حضر رئيس مجلس إدارة الجريدة الأستاذ حمـدين صـباحى رجـل السياسـة المعـروف، اسـتقبله الحاضـرون بحفاوة، دخل خلفـه الـدكتور عـزازي ثم خـرج بعـد لحظـات قليلـه مشيرا لـي بالذهاب معه، كأنه استأذن منـه للخـروج، إصطحبنى الـدكتور عـزازي إلى موقـف رمسـيس، قلـت لنفسـي ربمـا يعـرف

الطريق جيدا، اندهشت عندما ركب سيارة طنطا، وأشار لي بالركوب إلى جواره، سألته فى تردد «أليست هذه سيارة المحلة»، ابتسم قائلا: «هانعدى على صديق الأول»، حدثني أثناء الطريق بمعرفتي للشاعر إبراهيم خطاب، أخبرته أنى أعرفه جيدا، أخرج تليفونه واتصل به، أخبره أنه ذاهب إلى المحلة لمناقشة ديواني ويريد رؤيته هناك، ثم أغلق الخط.

لم يكن فى جيبي غير بضعة جنيهات لا تكفى لعشاء فرد عند كباجي، أو مطعم من الذين يشوون الدجاج على الفحم أو غيره، الجنيهات تكفى اثنين أو ثلاثة عند محلات البغل الشهيرة بالفول والفلافل بالمحلة، هذا بخلاف مصاريف العودة، كيف سأقنعه بذلك، فقط أردت إخباره قبل أن يفاجئ بالواقعة التي لا تليق بمكانته، كيف لي بالبداية، أخذت أتغزل فى البغل فى مقدمه طويله سمعها منى دون ملل، لم تفارق ملامحه الابتسامة طوال حديثي، تشجعت وأخبرته أننا سوف نأكل عند هذا البغل بعد انتهاء المناقشة، حينها انفجرت منه ضحكه عالية قائلا:

- لما نوصل بالسلامة يا محمد.

وجدت رجلا بدينا ذا شارب ضخم فى استقبالنا بموقف طنطا، احتضن الدكتور عزازي بحرارة زائدة عند رؤيته، عرفني الدكتور عزازي به.

- ـ ده الصحفي الكبير بجريدة الأسبوع الأستاذ محمد كمال.

ثم أشار إلي:

- وده الشاعر الجميل محمد على النجار اللي كلمتك عنه.

رحب الرجل بي ثم اصطحبنا إلى سيارته المركونة بجوار الرصيف، وقفنا أمام مبنى كبير من طابقين، قال الأستاذ محمد كمال بعد نزولنا.

- واضح انكوا ما أتغدتوش.. ده أشهر كباجي بطنطا.

تحرك هو والدكتور عزازي نحو مدخل المطعم بينما أنا تسمرت مكاني، لاحظني الدكتور عزازي رجع ليسحبني من يدى محدثا بهمس:

- تعالى نلحق الكباب قبل ما ترسى عند البغل.

ثم صفعني بضحكاته التي أخجلتني أكثر، صعدنا للطابق الثاني، استقبلنا بوابل من الترحيب والسلامات رجل يبدو من هيئته وأوامره للعاملين بالمطعم أنه صاحب المحل، يبدو أنه يعرف الأستاذ محمد كمال معرفه جيدة، ربما توجد صلة قرابة بينهم، وربما يكون أحد زبائنه المترددين عليه بشكل دائم، المهم أن الرجل أجلسنا على منضدة خاصة، وأصى العمال بتلبية جميع طلباتنا قبل انصرافه، همس الأستاذ محمد كمال فى أذن أحدهم الذى انصرف سريعا لتلبية رغباته، وأثناء انتظارنا داعبه الدكتور عزازي قائلا:

- محمد من شويه كان كلمني عن مطعم كبير فى المحلة اسمه البغل.

قال الأستاذ محمد كمال ضاحكا بسخرية:

- بغل إيه يا راجل اللي ها تروح عنده.

ازداد تأنيبي لنفسي أكثر، ربما أخطأت بمبادرتي الرخيصة وشعرت بحجم ضآلتي بينهم، تمنيت أنى لو كنت أجلت الموعد

لحين انفراج ضائقتي المالية، أو كنت ألغيت الموعد من الأساس، بعد لحظات امتلئت المنضدة بما لذ وطاب من الأطعمة، «طواجن بامية، أسياخ مليئة بالكباب، أرز معمر بداخله حمام مشوي.. إلخ»، نظرت باستغراب شديد متسائلا بداخلي: من سيأكل كل هذا، ومن حين إلى آخر يهمس الدكتور عزازي فى أذني مداعبا: «ده بقى وإلا البغل بتاعك»، يزداد خجلي مجاوبا فى كل مرة: «ما خلاص بقى يا دكتور عزازي كل واحد وإمكانياته»، بعد انتهائنا اصطحبنا الأستاذ محمد كمال إلى منزله، لنجد ترحيب أكثر من أهل بيته الذين استقبلونا بالعصائر والفاكهة والحلويات، بعدها أخذنا فى سيارته إلى قصر ثقافة المحلة حيث وجدنا القاعة ممتلئة من الشعراء والأدباء والأصدقاء وعلى رأسهم الأديب الكبير جار النبي الحلو، والشاعر الكبير محمد فريد أبو سعدة، والشاعر إبراهيم خطاب الذى استعار نسختي وأنا جالس على المنصة، ليقرأها سريعا وبالفعل شاركنا فى الحديث عن الديوان ووضع رؤيته التي أبهرتني شخصيا، كانت ليلة رائعة لن تمحى من تاريخي وخصوصا أننى استأجرت مصور فيديو لتتويج تلك اللحظة الفارقة فى حياتي كمحطات كثيره بدايتها باستماعي إلى صانع البهجة سنة ١٩٨٩ فى أغنية «جلجلي»، بعد انتهاء المناقشة فضل الدكتور عزازي الانصراف فى سيارة الأستاذ محمد كمال على أمل لقائي مرة أخرى، بينما أكملنا سهرتنا أنا وباقي الحضور عند مطعم البغل لنقيم ندوه موازيه لندوتنا التي أقيمت منذ قليل.

لم أشارك فى ثورة يناير ٢٠١١ إلا بديوان «البيان الأخير من ميدان التحرير» الذى كُتب وطُبع سنة ٢٠١٢ فى سلسلة إبداعات الثورة التابعة للهيئة العامة لقصور الثقافة، تابعت الحدث عن

كثب، سعدت جدا بتلك الثورة العظيمة التي حركت المياه الراكدة، فقط كنت مع التغيير، شاهدت الحدث من القنوات الإخبارية والإنترنت، كنت أراقب التفاصيل وأضع تحليلي الشخصي لكل مشهد، شيء بداخلي كان يريد القفز داخل تلك الشاشة المليئة بالحراك الثوري، أردت أن أكون مشاركا ولو بهتاف، الكل شارك بما لديه، ظهرت أصوات غنائية جديدة وعازفون جدد وشعراء وأدباء كثيرين أفرزتهم الثورة، حتى على المستوى السياسي، كان هناك رجال مرحلة جديدة، حطموا قيودهم ليزيلوا كل زيف، أما أنا فاكتفيت بكتابة القصائد التي أطلق فيها جماح حريتي دون خوف أو بطش، ولأن الصورة كانت ضبابيه لم تظهر فيها الحقيقة بعد، كشفت الثورة أوجه كثيرة ممن يسبّحون بحمد حاكمهم، حتى إلى الآن ما زالت تتكشف الأوجه.

بعد أحداث كثيرة أتت بالإخوان إلى الحكم، ظهرت حركات معادية لهم كتمرد، وجبهة الإنقاذ التي فوجئت بأن المتحدث الرسمي فيها هو الدكتور عزازي بعدما استقال من منصب محافظ الشرقية الذى تقلده بعد الثورة، رافضا استمراره فى عهد جماعة الإخوان، حاولت التواصل معه لكن هاتفه دائما مغلق، بعد مرور سنة، قامت موجه ثوريه أخرى أطاحت بحكم الإخوان، ليمسك الجيش بعدها زمام الأمور إلى وقتنا هذا، جاءني الخبر مثلى مثل الآخرين من خلال الجرائد والقنوات التلفزيونية بوفاة الدكتور عزازي إثر عملية خطيرة فى القلب أجراها فى الخارج لتتوقف الحياة بعدها.

شاعـــر الشـــرق:

نظمـت قصـيدة لصـانع البهجـة معـبرا فيهـا عـن مـدى التنـاص الوجداني بيننا ، سميتها «بيلضم حزنه جوايا» ، قلت فيها :

شايل ذكرياتك
جوه شنطة السفر القديمة
والمرة دي
ناوى بجد على الرحيل
«اسمك بشر.. عمرك ألوف»
والروووح
تصرخ تجلجل فى الفضا
يرجع صدى الأحلام
بحكاية
فاكر..
لما عيونها شدتك
من قلب خوفك
كنت داير فى الشوارع
كنت ضايع
كنت بتدندن
لوييييين وخداك الخطوة
تصرخ فى العيون
دلوني
هدووووء مؤقت

بعد منه
فتحنا باب كل القصايد
واكتشفنا
إن الكلام جواها مات
إلا قصيدة
بابها متوارب لعابر السبيل
تشبه ملامحه ملامحي
وهوه بيخبط
على الباب الوحيد
يا غربه حنى
يتكى لي بيها فوق كل الجروح
ف اروح وياه
بلا عوده
واشرب فى كاس المر
ميت مره
«عشان أهاتى تمر.. أصل الآهات مره»
ويعزف غنوة الأرزاق
على وجعي
ف اغنى معاه
وباتغرب وانا راضي
بحلمه صديق
يونسنى فى مشواره
ومشواري
وأكيد..

يا صاحبي أكيد
هايكون لنا
نصيب فى الفرح
اللي متغرب بقاله سنين
ونسمة صبا
تلطف الأحزان
وتغزل من كلامنا نشيد
نقوله
كل ما الأوجاع
علينا تزيد.

أرسلتها إليه، على صفحته الخاصة فى الفيس بوك، التي اكتشفتها مؤخرا، جاءني الرد على غير ما توقعت، فقط هكذا «جاااامده»، أردته أن يعرف من خلال قصيدتي مدى عشقي له، وأنى متابع جيد لأعماله، من خلال الأسماء والرموز التي سردتها وضمنتها من ألبوماته الغنائية فى منظومتي الشعرية، من أول ألبوم صدر له سنة ١٩٨٣ «عيونها» مرورا بمسيرته الغنائية حتى ألبوم «روح السمارة» الصادر سنة ٢٠٠٦، توقعت أنه سيقدر كل هذا وتوهمت أنه سيطلب مقابلتي، لكنه لم يحدث، فوجئت بعدها بأيام قليله أنه أغلق المحادثات لينقطع التواصل معه.

سنة ٢٠١٣ استضافتنا مدينة الزقازيق فى مؤتمرها الأول للشباب «مؤتمر اليوم الواحد»، كنت أحد المدعوين من قبل قصر ثقافة المنصورة، استأجر القصر باكرا باصا كبيرا لنا ولأدباء مدينة دمياط، جميعهم من الشباب حديثو عهدا بالكتابة، لم

أعرف واحدا منهم ولم أقابله فى أمسيه أو ندوه أقيمت من ذي قبل، كان معنا أيضا شعراء من مدينة ميت غمر من بينهم صديقي الشاعر محمد سلام، فالقصر جمع أبناء محافظته من الشعراء والأدباء لحضور المؤتمر ليمثلوا اسمه، استقبلنا عند وصولنا بعض الأصدقاء من بينهم صديق لم أره منذ سنوات، هو القاص والروائي حسام المقدم، جلسنا نحن الثلاثة فى مؤخرة المسرح الكبير بقصر ثقافة الزقازيق أنا ومحمد سلام وبلدياته حسام مستمعين للجلسة الافتتاحية.. بعد انتهاء الجلسة كان محمد مهتما بإلقاء قصيده علينا أبهرتني جدا وأبهرت صديقنا حسام، عندما استراح محمد لهذا الإعجاب حدثنا أنه سوف يدخل بها المسابقة، سألته عن أي مسابقه تتحدث، أخبرني أن المؤتمر سيقيم مسابقه على هامشه فى الشعر والإلقاء، والفائز سيحصل على لقب شاعر الشرق، تحمست وسجلت اسمي بها وكانت مفتوحة لكل الشعراء سواء العامية أو الفصحى، بعد انتهاء المؤتمر فى التاسعة مساء اجتمعنا نحن الشعراء بقاعة كبيرة بالطابق العلوى وكان المحكمون هم الشاعر والصحفي حزين عمر، والشاعر عبده الزراع.. القاعة ممتلئة بأكثر من خمسين شاعرا، شعرت بقلق صديقي محمد، طمأنته أنه سيكون الفائز بعد استماعي لبعض النصوص فى البداية فهو وبكل أمانة أفضلهم إلى الآن بالنص الذى أسمعني إياه، جاء دوري، غيرت النص الذى أحضرته مسبقا نظرا لقراءتي للنصوص التي أدلوا أصحابها بدلوهم، اخترت نصا إنسانيا لأستحضر إحساسي فيه ليكون هو البطل الحقيقي فى الإلقاء، فالإلقاء عليه نصف الدرجة، كان حظى أنى كنت من الذين ألقوا فى نهاية المسابقة

لأستمع وأقيم ما قيل، انتهت المسابقة بعد منتصف الليل نظرا للأعداد الكبيرة المشاركة، ولم يغادر منا أحد قبل استماع النتيجة، دهشت عندما أعلنوا أنى الفائز بالمركز الأول مناصفه مع شاعر آخر لم أعرفه، وأننى حصلت على اللقب، هنأني أصدقائي من بينهم محمد سلام الذى حزن جدا لعدم فوزه، أخبرته أنها ميول تحكيمية وأن نصه الذى ألقاه أكثر من رائع يفوق نصى بكثير وربما الإلقاء هو الذى رجح كفتى، على إثرها أنشأت صفحة على الإنترنت باسم هذا اللقب مازالت قائمة حتى الآن.

فى أحد الأيام شاهدت برنامجا اسمه «صاحبة السعادة» تقدمه الفنانة إسعاد يونس، يستضيف شخصين يتحدثان فى بدايته عن صانع البهجة، كان منهم شخص استوقفني خجله وطريقة حديثه، لم أعرف ما الذى جذبني له ولطريقته، ويشاء القدر أن ألمح صورته من بين الصور التي يرسلها الفيس بوك للتعارف على أصدقاء جدد، أرسلت إليه طلب صداقه، وافق به على الفور، فوجئت بعد ذلك أنه ألف كتابا عن فترة الثمانينيات والتسعينيات بعنوان «يا ذكريات.. يا»، أنزل عنه إعلانا على صفحته، بحثت عنه فلم أجده، أرسلت إليه رسالة خاصة لمعرفة مكان الكتاب، أخبرني باسم مكتبة وحيدة فى المنصورة، أرسلت صديقا لشرائه ليُحيى هذا الكتاب أشياء كثيرة كادت أن تموت، كتبت عنه دراسة وأرسلتها إليه، انبهر بها جدا، طلب منى نشرها على صفحته فوافقت، لم أعلم عن وائل غنيمي غير أنه إعلامي من خلال صفحته على الفيس بوك، دعي الأصدقاء على الصفحة ذات

يـوم لاحتفـال دار النشـر الخاصـة بكتابـه وهـى دار «دون» فـى احتفالهـا الثـانوي بسـاقية عبـد المـنعم الصـاوي، وأنـه سـيكون متواجـدا هنـاك للحـديث عـن كتابـه، أخبرتـه علـى الخـاص أنـى سـأكون متواجـدا بـإذن الله، فـى تلـك الليلـة بـدأت دور النشـر بفقـرات كـثيرة، لم يظهـر وائـل بعـد، ظللـت منتظـرا الفقـرة تلـو الفقرة حتى شاهدته فى الممر يتابع الفقرات هو الآخر، ذهبت إليه بدواويني المطبوعة، سلمت عليه وأعطيته إياها، فى بادئ الأمر ظن أنى معجب حتى قرأ الاسم بعد انصرافي، صرخ مندهشا:

- محمد النجار أعذرني ما خدتش بالى.

التفت محرجا:

- ولا يهمك.

ذهبت إلى مقعدي منتظرا فقرته حتى جاءت، طلبت من مقدم الندوة التحدث، سمح لي بدقائق سألت فيها وائل عن الذى دفعه للكتابة، لأنه واضح من الكتاب الذى كتبه باللهجة بالعامية، أنه غير متمرس فى الكتابة، لكنه استطاع أن يستخدم موهبته فى التذكر وترجمها إلى حواديت تذكرنا بجيل عاصر انتهاء اختراعات الكاسيت والجرام فون وغيرها، وعاصر أيضا بداية ثورة تكنولوجية مثل النت والأقمار الصناعية.. إلخ، فاجأ الجميع بأن هوايته المفضلة هي شرب «الشيشة» لتنفرج القاعة بالضحك، بعدها طلب أن يلتقط معي صوره «سيلفى» وأعطاني رقم هاتفه لنتواصل كأصدقاء، علمت بعدها أنه يدير شركه دعاية وإعلان اسمها «أرت ٨٠ ٩٠»، والتي نظمت حفلة القرن بإستاد القاهرة وجمعت فيها معظم مطربي الثمانينيات والتسعينيات، ليعيد هذا

الزمن الجميل من جديد، علمت أيضا أنه كان مديرا لأعمال الفنانة عايدة الأيوبي، وحاليا مديرا لأعمال الفنان محمد محيى، وصديق شخصي لصانع البهجة «حميد الشاعري»، بيّن هذه الصداقة والعلاقة فى كتابه «يا ذكريات.. يا» وكيف أنه استطاع الاتصال بحميد فى إحدى البرامج، ليطلب منه حميد مقابلته، وأن الصدفة لعبت دورا كبيرا فى تلك المحادثة.

برغم عمق صداقتنا الممتده على مدى عشرين عاماً، لم أطلب منه أن نلتقى.

حميد الشاعرى أو «الكابو» كما يطلقون عليه فى الوسط الفنى، أو صانع البهجه كما أناديه فى جلساتنا الخاصه، لم أتذكر أننى سألته مره عن رأيه فى الأسم الذى أطلق عليه.

أمنى نفسى بأنه يمكن لقول رأيه عندما نلتقى صدفه وربما لا، المهم أنه كان الشرارة الأولى التي إشتعلت فى داخلى وأشعلت فضفاضات شعرى، جعلتنى شاعر الشرق.

أفرح أكتب..
أحزن أكتب..
أصرخ أكتب..
أسكت أكتب..
تخرج منى الكلمة فحيح
وساعات تقدر تتشعلق
على أسوار الخوف
وتصيح
لكن فى الغالب
بتشوطها الريح.

«محمد على النجار»

صدر له:

- «مقتول بيحاول يصحى»، ديوان شعر بالعامية المصرية، عن جماعة إفاقة الأدبية بالمحلة الكبرى، ٢٠٠٤.
- «عرض القصيدة ها يبتدى»، ديوان شعر بالعامية المصرية، على نفقته، ٢٠٠٤.
- «بنت بتسرق روحك»، ديوان شعر بالعامية المصرية، سلسلة إبداعات، الهيئه العامه لقصور الثقافه، ٢٠٠٦.
- «البيان الأخير من ميدان التحرير»، ديوان شعر بالعامية المصرية، سلسلة إبداعات الثوره، الهيئه العامه لقصور الثقافه، ٢٠١٢.
- «إتعود تسكنه العفاريت»، ديوان شعر بالعامية المصرية، سلسلة ديوان الشعر العامى، الهيئه المصرية العامه للكتاب، ٢٠١٦.
- «إسعاف»، ديوان شعر بالعامية المصرية، على نفقته، ٢٠١٩.
- «الواحي .. إقتراب زمن النبوءه»، روايه، عن سلسلة الأدباء، دار الإسلام للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩.
- «صانع البهجة.. من يوميات شاعر »، سيرة ذاتية، عن دار شعلة الإبداع العربى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.
- نشرت له العديد من النصوص الشعرية فى الصحف والمجلات والدوريات الثقافية المصرية: مجلة الثقافه الجديده، أخبار الأدب، جريدة العمال، والدوريات الأخرى)

له تحت الطبع:

- «دموع فرحه قديمه» ديوان شعر بالعامية المصرية.

المحـتوى

- إهـداء أول 3
- إهـداء ثانى 4
- مجذوب 5
- سينما عدن 9
- زهرة البنفسج 13
- خمسون قرشا 19
- نادى الأدب 25
- شريط كوكتيل 37
- يخلق م الاسم أربعون 43
- كالزئبق اختفت 51
- وظيفه ميرى 59
- أبناؤه الذى لم يلدهم 75
- أعطاني رقم هاتفه 79
- البغل 87
- شاعر الشرق 93
- للشاعر 100